صراع في الخفاء

صراع في الخفاء

مجموعة قصصية

رابح محمود

صــراع فــي الخفــاء

مجموعة قصيــة

اسم الكاتب: رابح محمـود

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية

تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى

رقم الإيداع: ١٦١٣٧ / ٢٠١٨

طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

للنشر والتوزيع

Arabic Library

Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة

(الفأر الشارد)!

"ثمةَ صلةٌ عجيبة بين الفأر، وبين خير الإنسان وشره"!

يحكى أن:

تاه الفأر في الشوارع القريبة من المؤسسة الصحفية.. فارق رفاقه.. ضل عن جحره.. تاه ولم يستطع العودة.. التمس مكانًا آخر.. فساح في الشارع.. يتسلق الحوائط.. يمشي بجوار الجدران بعيدا عن العيون والأقدام.. ويلتمس طعاما وجُحرا.. طولَ حياته، الطعام يهبط إليه يتدلّل له.. يجده في طريقه وفي كل مكان.. لم يحمل يوما همه.. فهو متاح كيفما أراد بلا ثمن.. فقط عليه أن يلتمسه.. سعيًا له.. وقفزا عليه.. وتسلقا إليه.. السعيُ والقفز والتسلق مَرَحٌ ما بعده مرح.. ما أجمل هذا وما أسعده أن يمرح ليأكل!.. أن يلعب ليشبع!.. وأن يكون عمله لهوا!

إذن ما هو الكدُّ والتعب والنصب؟!.. وأين هي المشقة والعناء والوصب؟!

كلها معانٍ ليس لها في حياته وجود.. إنها معانٍ تخص حياة الإنسان فقط.

الإنسان فقط هو الذي يعرف الويل، والثبور، والشقاء، والعناء، والأسعار، والغلاء، والبلاء، والعداء.

هذا عن الطعام.. فماذا عن المساكن؟!.. الإنسان يهلك حياته كلها في بناء البيوت.. كأنه ما جاء الدنيا إلا ليبني.. مسكين ذلك الإنسان.. أي شقاء يعيش فيه؟!

أما المساكن في حياة الفئران فما أكثرها.. البيوت ما أوفرها.. والكل رفاق وأحبة.

من غير ندم ولا دموع على هذا الفراق وهذا التيه سعى.. هرول.. وجرى.. وقفز.. وتسلّق.. وكان يقول لنفسه:

"هذا هو حال الدنيا، الفراق فيها أمر محتوم، وفي السفر سبع فوائد، والحكمة تخبرنا أن في السفر عوضًا عمن نفارقه".

لم يكن (سعيد) في هذه الأيام سعيدًا.. شركته التي تعمل في إبادة الحشرات يحوم حولها شبح التعثر.. يجلس في البيت وهو مهمومٌ بالأمر.. على وجهه علامات الانشغال بأمر ما.. الأبناء يلعبون حوله وهو ناظر إليهم لكنه لا يشاركهم.. تلاحظ زوجته عليه هذا الأمر فتنشغل به.. تعلم منه سبب انشغاله فتطمئنه.. ترسم على وجهها ابتسامة الطمأنينة والسعادة والرضا.. تحيل بهما حزنه إلى سعادة.. وخوفه إلى أمن.

ما زالت زوجته تمارس معه دور الرعاية والعناية.. فهي تعلم جيدا بفطرتها الوقت الذي تكون فيه أما والوقت الذي تكون فيه حبيبة.

والزوجة مأوى وملاذ.. إليها يلجأ الرجل فيستمد قوته.. ويستعيد همته.. وفي عينيها يجد أنسه وراحته.. يثور الرجل وثورته بركان لا ينطفئ..

لكن في كنفها تهدأ الثورة وتخور قواها.. يطوف الدنيا.. لا يهدأ له بال.. يغدو ويروح.. ويهرول ويسعى.. ونهاية كل هذا أن يسكن إليها.

الفأر التائه سارح في ملكوت الله.. يبحث عن مأوى ومستقر.. وعن بقايا طعام هنا وهناك.. لكنه كان يتجنب كل شيء أبيض.. كانت عنده عقدة منه لحادثة رآها.. إذ كان في يوم من الأيام يتجوّل مع رفاقه وقد رأوا فأرا قد مات بطريقة عجيبة.. مات متصلبا متجمدا كأنه تمثال من شمع.. ولما تعجبوا من ذلك بحثوا.. وبالبحث والتقصي عرفوا السبب.. إنه مكر إنساني عجيب.. فقد وضع له أحدهم مادة بيضاء في طبق.. رآه هذا الفأر المسكين فانخدع به.. ولعق منه.. وبمجرد أن وصلت هذه المادة إلى جوفه تيبّست فيه.. فاختنق اختناقا تاما.. ومات مذهولا مندهشا فاغرا فاه.. في صورة من لم يفهم.

في عالم الفئران عدوان.. الإنسان والقطط.. الإنسان يضايقه وجود الفأر.. ينصب له الفخاخ ويصنع له المصائد.. وقديمًا كان يهلكه بالعراجين.. وأما القطط فإنها ترى في الفئران غنيمة.. لكنها لم تجدد له وسيلة الهلاك.. وسيلتها القديمة أشعّة تخرج من عينيها تصيب الفئران بالشلل.. ثم الانقضاض.. والقطط والإنسان صديقان حميمان.

ومن يومها جاءته عقدة من كل شيء لونه أبيض.. لكنه لم يفقد عزيمته ورغبته في الحياة.. بل ظل يسعى إلى رزقه و اثق الخطوة في أمن وأمان.. لا بد أنه سيأكل والكرّ والفرّ جزء من الحياة يجلب السعادة ولا يعيق الراحة.. والتعرض للهلاك قدر كل المخلوقات فلا بد من نهاية وإن تعددت الأسباب.. وهذا الصراع لا يشوب أمنه بشائبة.

وهكذا واصل السعي والمرح واللهو.. صادف في طريقه فأرا آخر.. ليس بين الفئران حدود أو أسلاك.. ولا جواز سفر ولا منع.. الدنيا كلها ملكهم.. وليس بينهم عجمي وعربي.. ولا عقود إيجار أو تمليك.. ولا أموال ليأكلوا بها.. ولا طلبات ولا متطلبات.. ولا حروب ولا سجن ولا غرامة.. ولا أمراض ولا مستشفيات.. ولا هم ولا غم.. ولا حزن ولا نكد.. ولا نزاع ولا شقاق.. كل الأوبئة الإنسانية لا صلة لهم بها.. الألفة دنياهم.. ولغتهم واحدة.

وبمجرد أن صادف هذا الفأر الآخر اتفقا.. والاتفاق لا يفارقهم.. وسار معه.. أقام عنده في جحره.. واستقر به المقام مع صديقه الجديد.

في اليوم التالي ذهب (سعيد) إلى شركته كالمعتاد.. سأل الموظف عن أي عروض جاءت للشركة.. فوجد عروضا لا تغني ولا تسمن.. منزل واحد في أطراف المدينة.. بعض مئات من الجنيهات في خزينة الشركة.. جلس في مكتبه.. شرب الشاي.. دخل عليه الساعي وهو رجل كبير في السن.. يأخذ الكوب وينتظر أمره.. وضع (سعيد) يده في جيبه وأخرج بعض الجنيهات وأعطاها للساعي.. وهو يعلم حاجته لها.. أعطاها له على سبيل الصدقة أو الإكرام.. رغم ما يتقاضاه من راتب شهري.. وأخذها الساعي على استحياء وهو يعلم أن حال الشركة هذه الأيام متعثر.. لكن (سعيد) أدرك ما تريد عين الساعي أن تقوله فقال له:

"خذها فما يزال عندنا الكثير، الخير من الله كثير، ولا بد أن الحال سينصلح عما قريب".

في آخر اليوم بعد نهار شاق.. سعيا وقفزا وزحفا وتسلقا على الحوائط.. بين الحصول على الرزق والمرح واللهو واللعب.. جلس الفأر وصديقه الجديد في جلسة سمر يتبادلان الحوار.. ويستعيدان الذكريات.. ويتناقشان في أمور الحياة.. تذكر الفأر قصصًا ماضية من حياة قدماء الفئران.. وحكى لصديقه قصة الفئران التي أنهت على مجد سبأ.. قال:

"كانت سبأ قد صنعت سدا على نهرها في قديم الزمان، نظم لها الريَّ ووفر لها الماء فجعلها تعيش عيشة الرغد، يأتيها الرغد من كل مكان، كما أتاها الأمن والأمان، وكانت تعيش الطمأنينة والسلام، وكانوا يعملون، ويجدّون، ويعيشون في خير، وبر، وعطاء للفقراء، ومساعدة الضعفاء، وكانوا يحصدون خيرهم حدائق ذات بهجة بُرا وشعيرا وتمرا وفاكهة و أبًّا، وكلما زاد خيرهم وطاعتهم زاد ثراؤهم وغناهم، لكنهم بدأوا يغترون بهذا الغنى وهذا الثراء، ثم بدأ العصيان يظهر في حياتهم، ومع ظهور العصيان وفي هذا التوقيت بدأت مملكة جديدة للفئران، حيث وجد فأر مكانًا جيدا في سد مأرب، دلّه عليه معصيتهم، فاستحسن المقام فيه، واستهواه هذا المكان أيما استهواء، أذنبوا ذنبا فسكن السد فأر، وزاد العصيان بين أهل سبأ، فدعا الفأر إلى هذا المكان رفاقه، وزاد العصيان بين أهل سبأ فزادت الفئران فئرانا أخرى، واستشرى العصيان بين أهل سبأ، فأقبلت الفئران إلى هذا المكان جماعات وجماعات، واستفحل أمر العصيان فيهم، فتزوج الفئران وتزاوجوا، وتناسلوا، و أقبلوا على السد يحفرون فيه مساكن لهم".

عجيب هذا الأمر، كلما زاد العصيان، زاد عدد الفئران التي تسكن السد، واتسعت الحفر في باطن السد!، هل في هذا مصادفة، أو هي مقصودة، أو هي مصادفة مقصودة؟!

ظل عصيانهم يزيد، وظلت الفئران تزيد، وجحورها في السد تتسع، فلما وصل العصيان إلى آخره، كانت الحفر التي صنعتها الفئران في السد قد وصلت إلى آخرها، فانهار السد وانتهى، وانفجر الماء المقيد خلفة وانطلق من عرينه جامحًا هائجا يزيل كل ما يقف أمامه، وطغى الماء فأقبل على سبأ يحصد الأخضر واليابس، ويحيل النعيم إلى شقاء والعمار إلى خراب، وانتهوا وانهار رغدهم وانتهى نعيمهم، وانتهى العصيان وانتهت الفئران وانتهت سبأ.

وفي القديم أيضا كان لفأر قصة رائعة، فالفئران كما تأتي بالهلاك تأتي بالعمار وبالمال وبالخير، ففي قديم الزمان كان هناك رجل صالح، فقير المال لكنه كان غنيا بالرحمة والمودة، يبدأ يوم بمعاونة الناس ومساعدتهم، ويهبهم الحب الذي يملأ قلبه، ويكرم الجيران ويعطي الفقراء والمساكين، ولو لم يكن معه من المال إلا اليسير، وفي مساء يوم كان جيبه خاويا من المال، وكان محتاجا إليه أشد الاحتياج، فإذا به وهو جالس في مكان ليس فيه أحد غيره يرى أمرًا عجيبا، يرى فأرا جاءه بدارهم ودنانير من ذهب، ففرح وابتهج، إنه أدخل السعادة على قلوب الناس، فكان جزاؤه أن يدخل فأر السعادة على قلبه، وأنفق على الفقراء وأخرج لهم من جيبه المال ليسد حاجتهم، فأخرج له الفأر أموالًا من ذهب، فما جزاء السعادة التي يدخلها على قلوب الناس إلى

السعادة أن تأتيه، وما جزاء الذهب إلا الذهب، والفئران كما تحفر للهلاك تحفر للعمار أيضا.

وانقضى الليل والفأران الصديقان يتسامران.

ما زال (سعيد) رغم عوزه وحاجته.. يتودّد إلى الفقراء.. ويبتسم في وجوه العمال والموظفين لا يشعرهم بضائقة.. كلما مر عليه وقت وضيق لم ينقطع خيره.. بل وزاد منه.. يبتسم لهذا ويَبَشّ لهذا ويساعد هذا ويصل هذا ويسامح هذا.. ولم يفقد الأمل ففكر أن يعرض خدمات شركاته وعروضها.. تجول جولة بين المؤسسات والشركات.. لم يتفق معه أحد.. ولم يتعاقد معه أحد.. في طريقه وهو عائد لشركته مر أمام إحدى المؤسسات الكبرى.. نظر إليها وفكر في الدخول ليعرض عليهم خدمات شركته، لكنه يعلم جيدًا أن مثل هذه المؤسسة الكبرى تتعاقد مع أكبر الشركات متى أرادت، لكنه قال في نفسه: لن أخسر شيئا.. دخلها وعرض على المسئولين فيها حملة لإبادة الحشرات وهو يعلم جيدا أنه سيقابل بالرفض.. قوبل باستهجان وبلا مبالاة.. لكنه ترك لهم ورقة مطبوعا فيها أرقام التليفون وعنوان الشركة التي هي بالقرب منهم.. وانصرف ومضى ولم يتم شيئا مما أراد.. لكنه ما زال لم يفقد ابتسامة الرضا والأمل.

انتقل الفأر من جحر صديقه بعد أن تصافحا ودموع الفراق تهطل من أعينهما.. وهام في الشوارع القريبة يلتمس مأوى آخر وحياة أخرى.. وجد جحرًا رائعًا خلف المؤسسة العملاقة العظيمة التي تعجّ بالموظفين.. أقام فيها هُنَيْهة ثم تسلق الجدار الخلفي منها.. دَلَفَ إلى هذه المؤسسة لعله يهنأ

فيها عيشا.. ويستمتع بما لذ وطاب من بقايا طعامهم.. أو مخلفاتهم.. تنحى جانبًا حتى يهدأ الموظفون ليلا.. لكنهم لم يهدؤوا.. فهذه المؤسسة لا يغادرها الموظفون ليلا أو نهارا.. صادف خلسة من الموظفين انطلق يعدو ليحصل على طعام هنا أو هناك.. رآه أحد الموظفين.. فاندهش لوجود مثل هذا الفأر في هذا المكان الراقي.. انطلق يخبر المسئولين.

كان (سعيد) في المكتب مساء، بعد أن قضى تلك الليلة السابقة هو زوجته يتسامران، في كل أحداث اليوم، علمت منه أنه لم يأته أي عروض، وعلمت منه أنه دخل عبثا إلى المؤسسة الصحفية الكبرى ليعرض عليهم خدماته، وضحكا سويًّا على هذا الأمر الذي فعله وهو يعلم نتيجته، الأحوال متعسرة في حياتهما هذه الأيام، لكن الضحك والسعادة لا تفارقهما.

الفأر كان يتجول في المؤسسة حين تنقطع الأقدام من المرور، لكنها في هذا اليوم لا تفتأ تنقطع حتى تأتي مرة أخرى، أزعجته هذه الأقدام وأرقته، وأحس أن هذا المكان لن يطيب له فيه مقام أو لهو، تبرّم به وقرر الرحيل.

لما علم المسؤول في المؤسسة الصحفية بوجود الفأر فيها هاله هذا الأمر.. لو علم بذلك رؤساؤه لما مر الأمر على خير.. تفكر قليلا فتذكر هذا العرض من شركة لإبادة الحشرات.. تناول التليفون و اتصل بـ(سعيد).. وفي اليوم التالي غادر الفأر المؤسسة.. بعد أن أدى مهمته بنجاح.. غادر ليمارس أدوارا أخرى بحثا عن جحور أخرى.. وجاء (سعيد) إلى المؤسسة ليوقع عقدا رائعا لم يخطر له على بال.

لحظة اتفاق عجيبة.. فبينما كان (سعيد) يدخل إلى المؤسسة من الباب الرئيس في واجهتها.. كان الفأر يتسلق الحوائط الخلفية نزولا إلى الشارع!

(ترانيم الشغف)!

هوس قاتل بين الضلوع.. تباريح الهجر تمخر عباب الشجن.. زمجرة الغريزة تعصف بالوجدان.. مزامير الغواية تحلّق في سماء الشبق.. معانٍ خادعة حائمة هائمة في أجواء البغي والبغاء.. تصنع إفْكا وتخلق أكاذيب.

بوادر نهاية قاتمة تعلو في الأفق.. وفي الملكوت تتلى ترانيم الحذر.. قبل الوجود كانت قصة الفساد وسفك الدماء تتوج هامة العدم.

واليوم تترامى إلى الأسماع همهمات الغواية.. وتبوح الخيانة برائحتها التي لم تحفظ يوما سرها.. الشبق يرتدي زي الهوى.. يتغنى بالصبابة ويَتسَلى بقصص الغرام.. ويسلب الفجور لب الحقيقة.. يُلبس الغواية رداء الهداية.. فيزيد العشق لهبًا واضطرما.

الغواية ما تزال تأخذ دورها تعمل بجد ومثابرة.. لا تفتر ولا تهدأ حتى تودى بأصحابها.. لكنها حينما يضطرم اللهيب.. وتتلظى النار وتتأجّج.. وتستعر الأفئدة بها.. حينها تفر تاركةً الساحة لانفجار قد اقترب.

شغفها عشقًا وشغفته جسدًا.. كشفت عن ساقيها.. وكشف عن خبيئة عينيه.. ثمةَ صرحٌ ممرّد من غفلة.. ارتعش في النفس الشبق المجهول.. وتلظت الغواية في جوف الفؤاد.. حرب ساخنة في أفق النفس التي تحولت إلى ميدان يصول فيه الشبق ويجول.

الأحلامُ تراود الأحلامَ.. والأوهامُ تدعو الأوهامَ.. وأنين الوَحدة يضاجع الآلام.. والفتنة التي صاحبتهما تغزل لهما بالدماء سربالًا من قَطِران..

والتقوى فرت من المكان والزمان.. تضاءلت واضمحلت وأصابها الإعياء.. فباءت في هذا الميدان بالخسران.

أغلقا الباب.. استعرت الرغبة وتوحشت.. وقدَّت وقدَّ.. من قُبل وقُبل.. وسال العَرقُ على العرق.. وتطاير الشرر يلتهم الحكمة.. العقل غاب و انزوى.. تحولت الحكمة إلى نجم أسود.. طارق ثاقب.. يجذب الأشعّة النور انية بداخله.. لا يترك بصيصا من أمل.. ولا سِنة من رويّة أو عقل.

صوت العندليب يعلو يخاطب الهوى.. يردد في النفس صدى البراءة والأحلام.. لكنه صادف في نفس الغو اية قبولا:

علمني كيف أقص جذور هواك من الأعماق!

علمني كيف تموت الدمعة في الأحداق!

علمني كيف يموت القلب وتنتحر الأشواق!

إن كنت قويا!

أخرجني من هذا اليمّ!

فأنا لا أعرف فن العوم!

وخلف الباب المغلق.. هاله ما لم ير.. عوى الذئب فيه وصرخ.. سمعت عواءه فانتشت واستسلمت.. وتراخت الأعضاء.. وفارت الرغبة واشتعلت.. وصاحت صيحةٌ مكتومة في أعماقها.. وتردد الصدى في واد النفس التو اقة أن: هُيئتُ لك فهيت لك!.. وهمت أن تكشف سرها.. وهم أن يفتك بسرها ونجواها.. لكن المستقبل لاح في أعينهما.. رأيا برهانا لا يعلوه برهان.. نظرا في الأفق.. رأيا في المستقبل طفلا شريدا طريدا.. مجهول الهوية ومجهول الأخلاق

ومجهول الخطر.. ور أيا في المستقبل برهان الشك والريبة يسكن في العقل ليفتك بصاحبه.. يمزق حياته ويشعل النار في سعادته.. يلقي بالحُمَم والحميم على السكينة والطمأنينة في قلبه.. فيحيلهما جحيما أبديا ونارا تلظى.. ورأى إخوتها ونيران الغضب المشتعلة فيهم لا يطفئها إلا الدم.

رأيا في أفق المستقبل دماء وأشلاء.. ودموعا وحطاما.. وبقايا إنسان منزوٍ في ركن اليأس.. يعالج الآلام والأحزان.

هرب.. وفرت.. ونجا.. ونجت.. بعد أن كادا أن يقعا فريسة الشغف والغو اية.. لولا أن لاح لهما البرهان في الأفق.

(قلب ملتاع)!

الألم يمزق الحشى، يضرب القلب المكلوم بقسوة، يضفي على الكون غيما من حزن، يعتصر الفؤاد الحزين ويضنيه، ويطرح في الكون ألف سؤال وسؤال.

أسئلة تصطدم بجدار الإيمان، فيحتويها ويربّت عليها ويهدأ من روعها، فلا تجنح ولا تحيد ولا تند، وتظل تأنس بالمشيئة العليا.

تحت شجرة التوت وفي ظلها جلس (مصطفى)، أسند ظهره إلى جذعها وأرخى يديه يعلن استسلامه للأقدار، يكرر النظر إلى الصحراء المترامية كأنما ينتظر آخرينهي ألمه، صحراؤهم طيبة لكنها فاجأتهم بمخالب و أنياب.

في عمق هذه الصحراء الهادئة الوديعة، التي تمرح فيها الرياح في خفة وحنوّ وعطف، زئير محبوس في أقفاص يدر ثروة، يتبادله الأثرياء بيعا وشراء، تجارة عجيبة ولدت من رحم الحداثة التي لا ترحم، الحداثة ملأت الدنيا أجهزة عقيمة قطعت الأواصل بين الناس، ومزقت الروابط، وهتكت الطيبة، وأوجدت البيئة الخصبة للجشع والطمع، أنشأت تجارات لم تكن لها في الدنيا وجود، فهل شاهدت الدنيا من قبل ترويض الوحوش في مزارع واستئناسها.. والتجارة بها أيضا؟!، لكن هذا الأمر بعيد في جوف الصحراء، وفي جوف الإهمال أيضا!

بين الصحراء وأرضهم ترعة، وعلى الترعة قنطرة تصل حبال الود بين وادي النيل وصحرائه.

الدموع تنهمر والقلب مفجوع، والنفس في حالة بخع في طريقها إلى الهلاك.

جاءه صديقه (صفوت) من القاهرة بعدما علم بموت ابنة أخته، وانكب عليه بقلب يتقن احتواء الشدائد وهزيمتها، وجلس بجوار يشد عضده.

الأخوة تصنعها الأمهات، وقد تصنعها أرحام الحياة، وأرحام الشدائد، وأرحام المِحن، قد تصنع الأخوةَ أرحامُ الأيام.

واجهه بقلبه وأصغى إليه، وخرجت أشعة السكينة من عينيه إلى قلب صاحبه:

حدثني يا أخي ففي الحديث راحة.. أخرج من قلبك كلامك المحبوس فيه الذي يكاد يهلكه.. ما الذي حدث وكيف حدث؟!.. قل لي بالله عليك ولا تسكت.

السكينة هبت نسائمها على القلب الملتاع، بعدما لامسته يد حانية، وبعدما استشعرت قلبا حانيا يربّت عليه، فكت قيود اللسان، مد اللسان يده بدلو في جوف القلب ينزح منه الأسى، وتكلم (مصطفى) وهو ناظر في الأرض يخاطب صديقه:

الحادثة مؤلمة.. لا يستوعبها الحزن.. فوق طاقة الأسى.. تطوي الأسئلة والآلام في جعبتها.. وتبدأ من حيث انطلاقه البائس.

لم ينطلق من عرينه.. فليس في هذه البلاد عُرُن.. ليس في هذه البلاد غابات ولا أحراش.. ليس في هذه البلاد إلا الصحراء.. وصحراؤها هادئة مسالمة.. ليس في هذه البلاد إلا أرضا طيبة وقلوبا أطيب.

وفي جوف هذه الصحراء مزرعة تحتويه و أقرانه.. وفي قفص حديدي في هذه المزرعة كان يعيش.. حبيسًا يأتيه طعامه إلى محبسه.. يُرَبَّى كما تُرَبَّى الأغنام.. ليست هذه بلاده ولا هذه حياته.. لكنه المال الذي جعل الأسود والسباع والنمور تُباع كما تباع الأغنام.. الخطر بين أنيابه لكنه خلف باب مغلق بأقفال محكمة.. والويل كل الويل لو ضل الحارس إحكام القفل.. وقد حدث فانطلق.

انطلق من أين؟.. إنه لا يَدري.. إلى أين؟.. إنه لا يَدري.. أهو جانٍ أم مجني عليه؟.. أهو قاتل أم مقتول؟.. أهو ظالم أم هو من حاق به الظلم؟.. ولماذا انطلق؟.. انطلق إلى حتفه وإلى فريسته المسكينة كأن الندّاهة طلبته فلبى.. لا يعلم أن نهاية عمره وحياته اليوم.. هو وفريسته المسكينة.

لماذا لم يتوجه إلى الناحية الأخرى؟.. حيث صحراء ورمال صفراء.. وأرض خاوية على عروشها.. حيث لا أذى ولا ضرر ولا ضرار.. حيث تبتلع اللانهاية شره وأذاه.

و انطلقت المسكينة في نشوة ومرح تملأ الدنيا ضحكا وحبورا.. تقفز أمام أبيها فيضحك.. وينظر إليها وهي تبتسم فتشرق في قلبه شمس السعادة والسرور!

وكانت هي كل روحي وحياتي.. كانت تسعد لزيارتي لهم وألهو معها.. يسعدني ابتسامتها وضحكها.. لكنها رحلت و انقطع ضحكها ولهوها.

طلبت من أبيها في هذا اليوم أن تذهب معه إلى الأرض التي يزرعونها.. أجاب طلبها وهو سعيد بسعادتها.. لم يكن يعلم أن في انتظاره و انتظارها هولا ليس بعده هول.. لم يكن يعلم أن الحُزن يركض في انتظارهما.. كركض الوحش في البرية.. لم يكن يعلم أن الحُزن يكشر عن أنيابه لافتراسهما.. لم يكن يعلم.. وخير له أنه لا يعلم.

قلب الأم له اتصال علوي.. اتصال روحي يقرأ من عالم الملكوت ويشمّ منه.. ويسمع منه ويحيا فيه وهو ما يزال على الأرض.. ويسبح في الغيب دون مانع أو حجاب.. قلب الأم حالة فريدة.. جسمه روح وروحه جسم.

قلب أمها قرأ في الغيب سرا غامضا مريبا.. ارتجف رجفة اهتزت له مشاعر الخوف والوجل.. واضطرب الوجدان وتململ.. العين زاغت لكن البصر ما طغى.

نظرت إليها أمها فاحتضنتها بعينها قبل أن يحتضنها جسمها.. و ابتسمت ابتسامه تشوبها شوائب الحزن وهي تنظر إليها فتجدها سعيدة بالذهاب مع أبيها.

أسراب من الهم والقلق والوجل كانت تحوم حول القلب.. غيم يسبح في أفق الروح.. دقات القلب يعلو صوتها ثم ينخفض.. سحائب من أفكار رمادية تحجب النور وتخنق الوضوح.. هواجس ملأت النفس.. لا يعرف صاحبها ما سرها.. ولا يستطيع الجزم بها أو التسليم لها.

ودّعتها أمها وقلبها يكاد يذهب معها، تكاد أن تثنيها عن الذهاب مع أبيها.. لكنها لا تريد أن تكدّر صفو سعادتها.. تتركها وهي تعلم أنها ستعود بعد قليل مع أبيها فَرِحَة سعيدة، لكنها... لم تعد.

كان النمر الذي انطلق من محبسه يعتلي هذه الشجرة التي أجلس تحتها.. هذه الشجرة التي كانت تلعب في ظلها في هذه الجنة الخضراء.. المطلّة على مشارف الصحراء.. النمر من علٍ ينظر إلى البنت ذات التسع سنوات، فيقفز إليها، يحملها بين أنيابه مسرعا، يرى الأب هذا المنظر البشع فيهرول وراء النمر.. يصرخ يملأ صُراخه الكون.. يصل صراخه إلى السماء.. يدوي في أرجاء الفضاء، يجتمع الفلاحون حوله.. ويهرولون وراء هذا المخلوق الغريب عليهم.. من أين أتاهم وجُل ما يتحاشون كلبٌ عقور.. وما زاد عن ذلك فهو محضُ خيال.

أطلقوا عليه غضبهم ونيرانهم.. فتركها من بين أنيابه ليلقى حتفه وتلقى حتفها.

إنها ليست له طعاما.. إنها نهايته ونهايتها.

لماذا اخترت هذه البنت أيها النمر وهي بعد لم تذنب.. لماذا اخترتها وهي ما زالت براءة الأطفال تداعب وجهها.. ما الذي فعلته؟ لماذا أصبتها بهذا الفزع؟ قل لي بالله عليك لماذا افترستها، قل لي بالله عليك بأي ذنب افتُرِست؟!

ما زالت صرخات الأب تدوي في السماء وتتردد في الفضاء، وما زال فزع هذه المسكينة وخوفها ورعبها يملأ القلب، ويغرس أنياب الهم والغم فيه، وتنهمر الدموع سيلا من ألم، وتلونها الأشجان بلونها الأسود لتستقر على هذه

الصفحة في تاريخ الإنسانية معتزلة دنيا الأسى والأحزان، هذه الإنسانية التي باتت تتاجر في كل شيء، الأسود والنمور التي عاشت بطول التاريخ وعرضه مصدر فزع ورعب، باتت تعيش في هذا الزمان خائفة من الأسر والاتجار بها.

أعطى الله لأبيها قدرة على التحمل، المنظر بشع تشيب له الولدان، كاد المنظر أن يقتل الأب هولا، لكن الرجولة فيه كانت سندًا وعونًا له، أمدته بطاقة على التحمل، وهبطتْ يد اللطف من عليائها تحيط قلبه فتماسك، لكن أمها صرخت، لم تر المنظر بعينها، لكنها صرخت:

من الذي يستطيع أن يخلصني من هذا الحُزن؟ من الذي يستطيع أن يزيل من خيالي هذا المنظر البشع الذي رحمني الله ولم تره عيني؟

قد يكون هذا النمر قد جاء يخلصها من هذه الدنيا البائسة التي عمتها القسوة والجحود؟ قد يكون هذا النمر قد جاء ليولد في الأب رأفة ورحمة يسعد بها للأبد؟

قد يكون هذا النمر قد جاء لهذه الأم ليكبح جموحا ويلجم شرا؟

إن الأسى يكاد يقتلنا، والحزن شقّ في القلب الملتاع صدعًا مريرا، وأصابه بجرح لا يندمل، نكاد أن نهلك، ويصيبنا اليأس ويستولي الشيطان على الإيمان فينا فيمحوه من قلوبنا، لولا أن الرحمة الإلهية ما زالت تقص علينا قصتها القديمة الخالدة، تعيد علينا ذكراها، تشرق على القلوب بين الفينة والأخرى، تكرر على أسماعنا حديثها الرباني، تذكرنا بالقَدَر الذي تخلص من الغلام ليرحم أبويه، ويقطع دابر الشقاء له ولهما، وقد اختار لهما حزنا يزول ثم فرحة عارمة بدلا من حزن دائم، وشقاء لا ينقطع.

قام الصديقان، وقفا وأعطيا ظهرهما للصحراء والشمس التي تريد الغروب، وقفا يستعدان للعودة، ويطويان صفحة مؤلمة خلفهما، الشجرة من خلفهما، أشعة الشمس الذاهبة للغروب تتخلل فروعها، يغوص قرصها في تلك الصحراء الهادئة، التي جلبت على غير عادتها الحزن على قريتها، الشمس غاصت بقرصها خلفهما في الصحراء كأنها هوت حزنا فيها.

(قرية وبيت وأشياء أخرى)!

في إحدى القرى التي لا ترى النيل.. وقد ناءت عنه وناء عنها.. بعد أن صاحبته أزمنة وأزمنة.. وجاورته تسمع أمواجه الهادئة وتنظر إليه دهورا ودهورا.. ذلك أن النيل اليوم غيره بالأمس.. فقد ظلت هذه القرية ترى النيل آلاف السنين.. ثم أخذ النيل ينحسر عنها رويدا رويدا.. ويبتعد شاطئه رويدا رويدا.. حتى غاب عن البصر.. فهي الآن بعيدة عن رؤيته وعن نسائمه.. وهي بعيدة عن مراكبه وقواربه.

شوارعها الآن واسعة.. بعض بيوتها ملتصق ببعض والبعض الآخر متفرق.. لم تكن قديما هكذا.. كانت بضعة بيوت قليلة لم تكن لتشكل شوارع.. لكن هذه البيوت ظلت تتكاثر وتملأ الفراغات التي بينها حتى شكلت شوارعَ ودروبًا فيها.

والبيوت الآن كما عرفتم متلاصقة لكنها تتميز بالرحابة.. بينها الرحبات والأجران والشون.. وبين الحين والآخر تجد بركة نخل أمام بيت يتسع المكان أمامها.. أو شجرة جمّيز عظيمة الحجم لا يسمح ظلها ببناء تحتها.

كانت هذه القرية من قديم قد آنست بالصحراء فاقتربت منها.. وتحصنت بها وابتعدت عن الحياة.. كأنما أرادت ألا تشترك في صراع.. ولا تنافس في شيء.. وآثرت العزلة.. وقبعت في ركن وزاوية في أقصى الدنيا أو أدناها فلا فرق.. فالمهم أنها اختارت الغمور والعزلة عن الدنيا.

مرت بالبلاد عصورٌ وعصور.. لكنها لم تمر عليها.. ودخلت البلادَ أجناسٌ وأجناسٌ وجنودٌ شتى.. طافوا شرقا وغربا.. لكنهم لم يطوفوا بها.. وجابوا البلاد شمالا وجنوبا.. و أقاموا إلى حين في بلاد.. واستقروا في بلاد أخرى.. لكنهم لم يقيموا فيها ليلة ولم يستقروا بها يوما.. تنازعوا على بلاد وتصارعوا على أخرى وقامت بينهم الحروب.. لكنهم لم يتنافسوا عليها ولم يبالوا بها.. كأنها غير موجودة على الإطلاق.. وما زالت كذلك.. لكن أهلها ما زالوا مصرّين على أن يتعاملوا معها على أنها الكون كله والدنيا كلها.. هكذا دأب كل مغمور.. وعادة كل مجهول.

وفي الماضي القريب.. في عصر من العصور التي سادت فيها الخر افات.. وللخر افات -يا سادة- جمال رغم القبح.. وسحر وأبهة وجنون.. فالخر افات عالم مليء ببخور من الهند والسند.. وأحجبة وأعراف ديكة.. وأعمال مربوطة في رجل نملة.. أو في ذيل سمكة.. وكنوز مدفونة مسحورة يحرسها خدام من الجن.. وبلاليص ملأى بالتبر.. ومقامات وأضرحة.. وموالد فيها غرائب وعجائب.. وهي أيضا عالم مليء بعفركوش وإخوته الذين تركوا إخوانهم يعملون.. ثم جاءوا من عالمهم وتركوا أعمالهم.. ليجالسوا أهل الحنجل والمنجل.

وفي ظروف حياتية صعبة.. في هذه القرية التي كانت هذه قصتها.. كان فيها ذلك البيت الذي هو بطل من أبطال القصة ويسكنه أيضا بعض أبطال القصة.

تعالوا بنا يا سادة نقترب من البيت.. إنه هناك، نعم هذا البيت.. ألا ترونه؟ اقتربوا منه لتروه.. اقتربوا أكثر.. اقتربوا أكثر.. اقتربوا أيضا.. لعلكم الآن ترونه.

البيت كما ترون مبنيّ بشكل بسيط للغاية.. كباقي بيوت الفلاحين.. التي يظهر فيها الإهمال وعدم الاهتمام بالمظاهر.. كما تظهر بساطة مالكيها.. أمامه شجرة توت.. ومسطبة صنعها أهل البيت بالطوب اللَبِن والطين.. تكفي لأن يجلس عليها عدة أفراد.. الشارع واسع مترّب.. والبيت مبنيّ بشكل عشوائي.. مكون من غرف غير منظمة.. في الحوائط منافذ داخلية يسمونها "الطاقة".. وفي غرفة داخل البيت ينتصب الفرن الذي يخبزون فيه.. وينامون عليه في ليالي الشتاء.. للطيور كل البيت وللجاموسة فيه غرفة.. وليس من غرف البيت ما هو في أهمية غرفة الجاموسة.. هذه الغرفة التي يطلق عليها "الزريبة" أو"الحوش".

لا تتعجب عزيزي إن كنت من أهل المدن وليست لك صلة بالأرياف من أن يكون للجاموسة غرفة كبقية أهل الدار.. فإن الجاموسة في بلاد الفلاحين تعيش بهم ويعيشون هم بها.. والحياة بينهم وبينها مشتركة متداخلة.. يعدون لها أكلها من البرسيم وغيره.. ويذهبون بها إلى الترعة لكي تستحمّ وتستجمّ في مياهها.. وبين الحين والآخر يقومون بتغيير التراب الذي ترقد عليه في غرفتها.. يحملونه وقد تحول إلى سِباخ.. ثم يأتون لها بتراب جافّ فيتهيأ لها المقام في الزريبة على أحسن حال.. ما رأيكم في هذا التدليل؟

لكنها أيضا كثيرة العطاء لهم لا تبخل عليهم بشيء.. فهي كما تعلمون المنتجة لهذا اللبن وهذا المِشّ وهذا الجبن وهذا الزبد.. بل الأعجب من هذا أنه حتى فضلاتها أيضا فيها نفع.. فهي إما أن تكون سباخا تعطي أرضهم قوة وتزيد خصوبتها.. أو تتناولها الفلاحات فيجففنه في الشمس ويصنعن منه وقودًا عجيبًا شديد الإيقاد.. هذا الوقود اسمه "جِلَّة" بكسر الجيم.

ومع هذا ومع أنها حيوان أعجمي لا يتكلم.. إلا أنها بينها وبين فلاحيها صلة وود وتفاهم عجيب.. لغته ليست ألفاظا وحروفا.. وإنما هي لغة صامتة.. لغة الفهم المشتركة بينهما.. وهي غير الحمار.. فبين الحمار وصاحبه عدة كلمات ينطقها الفلاح فيعمل الحمار بمراده منها.. فإذا أراد من الحمار أن يسير قال: "حا" أو "شي"، وإذا أراده أن يتخطى شيئا بقدمه قال: "حَرْجَعْ نهو" أو "حاوْعا"، وإذا أتى له بالماء وأراده أن يشرب قال: "تورور"، وإذا أراد أن يستحثه على السير أكثر نطق بهذا الصوت الذي لم يستطع أحد كتابته حتى المجانين أنفسهم.. وأما البقرة والجاموسة فإنها تعرف جيدا صاحبها ولا تخطئه أبدا.. هكذا هو الحال أيضا مع بقية المواشي من بقر أو أغنام.

أما هذه الجاموسة فإن شأنها عَجَبٌ.. فقد اشتراها صاحب هذا البيت بعدما وجدها هادئة وتم التوافق بينها وبين أصغر أبنائه.. فقد اشتروا من السوق السابق جاموسة.. لم تتفق مع هذا الصغير ولم تنصع له.. وظلت تند منه كلما أراد سحبها.. فاعترض عليها وأظهر اعتراضه لأبيه.. وفي أول سوق باعها أبوه واشترى هذه الجاموسة.

مكثت عندهم مدة طويلة بعدها يعتنون بها.. حتى ألفتهم وألفوها.. ويوما تركوها في الغيط.. فسرقها أحد اللصوص وباعها خارج البلد.. وظلوا يبحثون عنها ويتتبعون خطى من سرقها حتى علموا بالذي اشتراها بعد بحث طال لشهر كامل.. وعندما دخلوا لهذا الرجل الذي اشتراها ليستردوها بالمال.. لما رأت الجاموسة صاحبها هاجت هياج من يعرف صاحبه.. فتنازل المشتري عن بعض ثمنها لعلمه بصدق هذه القصة وبدلالة ما رآه من هياجها لرؤيته على أنه صاحبها.

هذا البيت بناه الجد الأكبر وكان صاحب أموال كثيرة.. لكنه كان غريب الأطوار والأفكار.. وكان يصمم هو البيت بنفسه.. وينفذ له البنّاء ما أمر به.. وبعد الانتهاء من البناء لا يروق له فيهدمه.. ثم يقوم ببنائه مرة أخرى.. حتى انتهت الأموال في هذا العام فكف عن الهدم والبناء.. ولولا أنها انتهت لظل يبني ويهدم حتى آخر يوم في حياته.

أما عن أهل هذا البيت فالأب قصير القامة.. في بلاد لا يجيد أهلها إلا الضحك والسخرية.. والاستهزاء والفخر بالأحساب والأنساب.. ويجيدون الغمز واللمز ويسمون ذلك "التنأويع".. وهم من أطلقوا على الذي تظهر لثته فوق أسنانه إذا فتح فمه "أبو ضَبْ".. وعن القصير "أُوزعة" وعن الطويل "أبو طويلة".. وعمن لا ينطق جيدا "أبو نص لسان".. وعن ضعيف البصر "أبو أربع عيون".

أما حياتهم فالعشوائية تهيمن عليها.. وتنسج لهم من العادات والتقاليد ما يحار فيه أولو الألباب.. فإذا تهادوا تهادوا بالماشية والأغنام.. وإذا

تهادوا تهادوا بالسكر والأرز والطيور.. وإذا تهادوا تهادوا بكل ما يشبع النهم ويملأ البطن.. وإذا أطلقوا كلمة الخير فقالوا: "إن هذا البيت ملآن بالخير".. فحذارِ أن تفهم أنهم يقصدون مثلا الصدقة على الفقراء.. أو أنهم يقصدون بأن هذا البيت يطعم الجوعى.. ويقضي الديون عن المعسرين.. أو أن هذا البيت يعيش في سلام مع الجيران.. أو أن أبناء هذا البيت من المتعلمين والمتفوقين.. لا، حذارِ أن تفهم هذا.. لأنهم يقصدون بكل هذا أن البيت فيه أطعمة كثيرة.. زير للمِشّ وزَلْعة الجبنة وقصعة اللبن والثمن.. ومِشَنّة عليها عمود العيش البتاو وهو ما يسميه أناس آخرون "الخبز".. وفيه حيوانات وطيور جاهزة رقابها لمرور السكين عليها.. وملء البطون بها.

هذا وجه.. ولكنه ليس كل الوجوه.. أما عن الوجه الآخر فإنهم طيبون.. شرهم صغير كخيرهم.. وليست عندهم عزيمة في الشر.. ورغم أنهم يضربون بعضهم بالعصا نهارا.. إلا أنهم متواجدون في أفراح بعضهم ليلا.. يتعاركون بالعصا نهارا ويتراقصون بها ليلا.. ويتزاورون لا تنقطع زياراتهم.. يزور بعضهم عند الذهاب والعودة من الحج والعمرة.. ويتواجدون في أعراسهم.. وفي ولائمهم.. وحياتهم كلها مشاع بينهم ليس فيها شيء من الخصوصية.

في هذه القرية وفي هذا البيت نشأ الأبناء يحيط بهم التهميش.. لم يبالوا بهذا واستسلموا له.. لكن أحد أبناء البيت كبر وهو يصارع هذه الظروف التي لم يرضَ بها.. وهو لا يستطيع تغييرها.. حياته ضعيفة بين أقرانه.. وليست لديه القدرة على تحسين الأوضاع.. والأمر لا يقتصر على الناحية المادية.. ففي هذه القرى وهذه البلاد.. لا يقرون للمال بكل السلطان.. بل للحسب والنسب

والكثرة الكاثرة من عدد أفراد العائلة وتاريخهم بين أقرانهم.. أثر عظيم في السلطة والسلطان القروي.. وربما ترفع معركة بالعصي والمساوئ من شأن عائلة لم يكن لها شأن.. مقاييس عجيبة لا يقرّها غيرهم.

في هذه القرية الريفية التي عاشت في هدوء وتؤدة وثبات.. لم يجد هذا الابن شيئًا يرفع من قيمته كما يظن من مال أو جاه أو عائلة.. فرفع أنفه يتعالى به وهو يمشي بين الناس.. فأسرته أسرة متواضعة الحال.. وليس في أبيه صفة يتفاخر بها بين أقرانه.. فلا هو صاحب جسم عظيم.. ولا هو صاحب هيبة ووقار.. ولا هو قوي الشكيمة.. وليس من أصحاب الجاه أو المال.. تبددت أموال جده الأكبر ولم يرث عنه غير غرابة الأطوار والأفكار.. وكان مع هذا يتمتع بصفات كلها لا ترفع شأنا.. ولا تعلي قدرا.. كان ضعيف البنية قصيرا.. وضعيف العقل والمنطق.. يضحك في بلاهة كاشفا عن أسنانه ولثته التي يسميها الفلاحون ضَبًّا.. وكان من النباهة والذكاء مضرب الأمثال.. وكانت له من النوادر مع حماره ما لا تستطيع التماسك معه الجبال.

ولا زالت النوادر تعي هذه الحادثة الفريدة له:

ركب يوما حماره.. وسار به في الطريق بجوار الترعة.. وجدهم قد وضعوا قنطرة على الترعة تيسر الانتقال إلى الضفة الأخرى.. سعد بهذا وأمال اللجام لحماره لكي يسير على هذه القنطرة.. رأى الحمار القنطرة فخشي من الوقوع في الماء.. لم يرضَ أن يمر عليها.. ضرب حماره لكي يمر لكنه أبى.. نزل من على حماره وأخذ يدفعه لكنه لم يستطع ذلك.. ولما يئس أن يمر حماره على القنطرة قال له معاتبا واعظا: "ألا تستطيع أن تمر على هذا القنطرة

وعرضها نصف متر، إذن فكيف ستمر على الصراط؟!".. سمع الفلاحون المجتمعون حوله هذه الكلمة منه إلى حماره فما تمالكوا أنفسهم من الضحك.. ومرة أخرى أوقعه حماره.. فاجتمع الناس حوله وهم يضحكون.. وكانت هذه الصفة من صفاتهم السيئة أنهم يسخرون ممن يرونه وهو يقع أمامهم.. فما كان منه إلا أن وجه اللوم لحماره قائلا له:

"أتفعل هذا بي، أتوقعني هكذا على الأرض؟!، لو كنت أنا الحمار وركبتني ما كنت فعلت معك هذا".

فضحكوا وأصبحت تلك الكلمة هي محط سخريتهم في مجالسهم وأسمارهم.

وكان ليس له حظ من النباهة إلا الحفظ بعد التكرار الكثير.

كان هذا هو بطلنا و أبو بطلنا.. وكان بيته متواضعًا كحاله.. وحاله كاسمه فقد اسماه البعض "جُعضيض" وفي دنيا الفلاحين تكثر مجالس الاستهزاء والغمز واللمز وهم ماهرون في هذه الفنون ولا يتقنون شيئًا أكثر منها.. ولكنهم مع كل هذا كانوا يحبونه.. ويصلونه ويتوددون إليه.

لم يلتفت الابن إلى هذا الود وهذه الصلة.. ولكنه التفت إلى سخريتهم منه.. وإلى قصر قامته.. وشكله الذي لا يوحي بمظاهر العظمة والقوة.

ولأن بطلنا الابن يرفض كل هذا.. وقد أثارت هذه الظروف فيه بركان الغضب.. وهو يريد أن يكون له شأن بين زملائه وأصدقائه.. ويكون له شأن في قريته.. لذا وصل بطلنا بعد جهد جهيد إلى المرحلة الجامعية.. واشترى بِذْلة.. ومشى مِشْيةَ التعالي ولكنه أبصر في نفسه أنه لا يوجد عنده من

وسائل التعالي شيء.. فقرر أن تعينه أنفه في هذه المهمة وقد وجد فيه ضالته بعد حيرته.. فرفع أنفه وهو يمشي.. مشية فيها شيء من خيلاء تشعره بأن هذه الهيئة تعطي له إحساس الكبرياء والتعالي مع الاستعانة بشيء من ملامح وجهه.

ثم استمر هذا الأنف مرفوعا يريد العظمة.. في طريق الحياة المريرة.. تخرج من الجامعة لكنه لم يجد عملا.. فتاجر وربح مالًا يسيرا.. وكان البحث عن الآثار قد أصاب البعض بالهوس.. هوس الغنى السريع والثراء الفاحش.. رغم أنه جريمة في حق الوطن.. ورغم أن أغلبه وهم ونصب وكذب.. وهو عمل لا ينجو فيه إلا واحد من كل ألف إلا أنهم تغاضوا عن كل هذا.. ووسوس إليه أحدهم أنهم على وشك أن يجدوا كنزا.. وأن نصيبه إن شاركهم سيكون عظيمًا سيغنيه بقية حياته وسيجعله من علية القوم.. و اقتنع بهذا.. وجاء بكل ماله.. ما جمعه في سنواته السابقة.. تحويشة عمره التي لم يكن له أن يفرط فيها بهذه السهولة.. لكنه الوهم الذي في نفسه الذي استجاب للوهم الذي دعاه له أصحابه.. وبدأ العمل والحفر.. والدجال يربح في كل يوم نظير دجله.. والعمال الذين يحفرون يأخذون أجرهم مضاعفًا كل يوم.. و انتهت الأموال ولم يجدوا الكنز بعد.. لكن الأمل والوهم لم ينته.. أوعزوا إليه أن يستدين والكنز قد اقترب.. فاستدان.. ومرت الأيام ولم يجدوا كنزا.. وعرفوا من آخرين أن الشرطة علموا بحفرهم وأنهم ان استمروا هكذا فستقبض عليهم الشرطة.. فكفوا عن الحفر وكف هو عن الاستدانة.. وقضى له أبوه دينه بعدما باع الجاموسة.. وعاد إلى بيت أبيه وكف أنفه عن الارتفاع.. بعدما

هلك ماله.. و أثر فيه ذلك تأثيرًا عظيما.. وفي البيت وبجوار حجرة الجاموسة.. راقَه الجلوس.. فرغم أنها ليس لها عقل.. إلا أنها لم ينصب عليها أحد.. ولم يستغفلها أحد.. وما انحرفت يوما عن مقصدها.. في كل محنة منحة.. وفي هذه المحنة التي ألمّت به كان انصلاح أحواله.. كانت ضربة قوية.. ما كان له أن يفيق منها إلا بمساعدة أبيه وإخوته له وسداد ديونه.. وأعادت إليه فكره فجلس يفكر في كل شيء حوله.. واهتدى إلى أن الرضا وراحة البال كنز لا يعدله كنز.. وأن الناس متساوون في الحقيقة.. أما هذه المظاهر فإنها لها نهاية ونهايتها بنهاية الحياة.. وأعمل الفكر في أبيه، إنه رغم ما به من ضعف المظهر وليس من عائلة كبيرة.. إلا أنه يتمتع بحب الناس له.. لو مرض حزنوا.. ولو حدثت له ضائقة سارعوا بمعاونته.. وهكذا صدمة الديون أعادت له صوابه وراحة باله.. وعاد يعمل مع إخوته.. يمسك بالفأس لا ليحفر ولكن ليزرع.. يرى أباه قصيرا.. فينحني له.. ويقبل يده.. وكلما تندّر أبوه ضحك من كل قلبه.. واستطاعوا أن يشتروا في هذه الفترة جاموسة أخرى.. واشتروا تليفزيون أبيض وأسود.. في الصباح يذهبون إلى الغيط يعملون طول النهار.. وفي المساء يذهبون إلى البيت هو و أبوه وإخوته.. يجلسون أمام التليفزيون.

القرية ما زالت تعيش قصتها.. والبيت كذلك.. وكل ما في القرية يقلب كل يوم صفحة في القصة.. القرية تغيرت شيئًا ما.. البيوت كثرت.. والشوارع ضاقت.. ودخلت الكهرباء البيوت.. وأجهزة التليفزيون ملأت البيوت.. واليوم يوم الخميس وهو اليوم المفتوح وسيعرضون اليوم فيلم "على بيه مظهر"..

ولا بد أنهم سيستمتعون بهذا الفيلم.. إنه يحبه حبًّا كثيرا وينتظره كلما عرض.

هل تحبون أن تروه؟، إذن اقتربوا من هذا البيت.. نعم إنه نفس البيت رغم مرورهذه الأعوام.. اقتربوا أكثر.. اقتربوا أكثر.. اقتربوا أيضا.. لعلكم الآن ترونه.

(السفينتان)!

امتلك الغافلون سفينة عظيمة.. ركبوا السفينة وأخذ كل موقعه.. ساروا بالسفينة في عرض البحر.. في الأعماق ما لا يخطر على بال.. لآلئ ومرجان.. وذهب أسمر في آبار من ثراء لا ينتهي.. والقوة في السواعد.. العزيمة مددها.. والإباء غايتها.. والخير يسبح ينتظر الشباك والأيدي الكريمة.

البحر خضم واسع.. أمواجه المتلاطمة لا تترك فرصة للنوم والغفلة.. أمواجه تتوالى وتتابع تزأر وتعوي.. تدعو دائما لليقظة والانتباه.. الهلاك في الغفلة عنها.. والنجاة في اليقظة والنشاط.. والسعادة في الانتباه والعمل.

هم الآن في وسط البحر تتناوبهم الأنواء.. ليست الأنواء فقط.. وإنما أيضا الأعداء.. السفينة الأخرى تمخَر عباب البحر.. يمتطيها الأعداء بعيون يقظة ماكرة خادعة.. عيون الأعداء في الأبراج على السفينة التي يمتلكونها لا تغفل عنهم.

تربص بهم الأعداء الراغبون في سلب حياتهم وسفينتهم.. عرفوا طبائعهم.. ومواطن الضعف ومواطن القوة.. نظموا أنفسهم.. استثمروا البحر أيما استثمار.. وعملوا جميعًا وشغلهم العمل عن الكلام.. ومكروا للغافلين وسفينتهم.. خططوا لهم.. كادوا ودبروا.. وأحكموا التدبير.. وأعدوا ما استطاعوا من الحيل.. اقتربوا بسفينتهم من سفينة الغافلين.. لوّحوا لهم بالخمر.. ابتسم الغافلون.. ابتلعوا الطُعم وقابلوا التلويح بالسلام.. وتنافسوا في ادعاء الحظوة والقرب من الأعداء.. و أقبلوا عليهم إقبال المحب

الولهان.. رأى الأعداء إقبالهم ولهفتهم.. تبسموا وألقوا إليهم بزجاجات الخمر.. شرب الغافلون وشربوا حتى الثُّمالة.. وذهبت عقولهم . إن كان لهم عقول؟! ووقف شاعرهم يقول:

رقّ الزجاج ورقت الخمر... فتشابها فتشاكل الأمر

وقال آخر:

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ... ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهرُ

وأما خطيبهم فوقف وقال:

اليوم خمروغدا...

ثم نسى من شدة سُكْرِهِ أن يكمل ويتم الكلمة.. ونسي أيضا أن اليومَ ليس يوم الخمرو إنما هو يوم العمل.. و أنه لا ينبغي للخمر أن يكون لها يوم.

الخمر فعلت المطلوب منها.. أسكرتهم وأذهبت عقولهم.. وفعلت بهم الأفاعيل.. وأرسل الأعداء لهم من يهز السفينة.. لعل الهزة تقضي عليهم.. لكنها لم تقضِ عليهم.. فنادوا عليهم من السفينة لئلا يفيقوا لهذه الهزة وقالوا لهم:

إنه الربيع، الربيع البحري أتى سفينتكم المباركة.

ما بال الربيع لم يأت سفينة الأعداء؟!.. الربيع مخلص للغافيلن فقط!.. البعض فطن لهذا الربيع.. وآخرون أوهمتهم الخمر بالنسائم.. فشعروا بالربيع يتخلّل السفينة.. توهموا الانتعاش والبهجة.. لكن ليس هذا غاية الأمر في الخمر.. الخمر نحّت كل واحد عن مهمته.. فما عاد يشغل باله بعمل.. وقضت وَحدتهم فاختلفوا.. وفرقتهم شيعًا فتنازعوا..

وتصايحوا بالكلام وهم أهل الكلام.. الخمر ألهتهم عن سفينتهم.. وأطاحت بالحكمة في رؤوسهم.. فاستوطن الهذيان.. تركوا أعمالهم ومهامهم.. وتفرغوا للخمر والكلام.

ثم جلسوا يأكلون ولا يعملون.. قذف لهم الأعداء بالخبز وأردأ أنواع السمك.. فشكروا لهم.. تحت سفينهم أجود أنواع السمك.. وفي الأعماق اللآلئ والمرجان.. لكنهم اكتفوا بما يلقى لهم.. الشِّباك ما عادت تجود بالخير.. والسواعد تراخت.. لم تعد قادرة على عمل.. ولم تعد ترغب في أن تمسك شيئا غير الكأس.

ما عاد يعمل فيهم غير الأفواه.. تستقبل الخمر وتقذف بالكلام!

الأعداء على السفينة الأخرى.. كل في مكانه يعمل.. ولأنهم يعملون وينتجون فإنهم يشعرون أن هؤلاء الغافلين المجاورين لهم على متن السفينة الأخرى.. عالة في هذا البحر.. وعالة على هذه السفينة.. ووجودهم يمثل عبئا.. يستحقون به الهلاك.. أرسلوا من يغوص في البحر ليلا.. ويصل إلى سفينة الغافلين.. ليفسد فيها في الخفاء وفي غفلة منهم.. ولا خوف منهم أن يكتشفوا المفسدين.. فالغفلة في عقولهم والخمر في أيديهم.. وهي جندي عظيم من جنود الأعداء الأوفياء.

أخذت السفينة تترنّح كما يترنّح السكارى فوقها.. وأسرعت إليها الأمواج التي لم تجد من يفيق لها ويعد لها عدتها.. واهتزوا واهتزت بهم.. وتخبط الغافلون فوقها.. صاحوا وصرخوا في وجوه بعضهم.. وتبادلوا السباب

واللكمات.. وتبادلوا الاتهامات.. وأعداؤهم ينظرون إليهم يراقبونهم.. بعيون يملؤها الخبث والخسة.. ويملؤها السعادة.. بنجاح المهمة.

في سفينة الغافلين بعض العقلاء الحكماء.. من لا يرضون للسفينة أن تغرق.. ولا يرضيهم أن تكون السفينة من نصيب الأعداء المتربصين.. لذا اختاروا واحدا منهم يقود السفينة.. يعلم بمختطات الأعداء.. ويعرف كيف يدير السفينة في هذا الخطر الداهم.. لا يبالي بأصحاب الأغراض.. ويصرف نظره وسمعه عن الصياح والنواح.. ينظر بعين ثاقبة على الأعداء خارج السفينة.. وعلى الأعداء داخلها.. لا يعبأ بالغوغاء.. ويوقظ السكارى.. وينقذ هذه السفينة من الهلاك الذي يقترب ويقترب.

تولى القائد أمرهم ونادى على أهل هذه السفينة:

انتبهوا يا سادة.. إن سفينتكم هذه أفضل ما في الدنيا وستكون في حجم الدنيا.. على هذه السفينة من يريد أن يغتنمها مثل الأعداء.. فانتبهوا إليهم.. لا تنخدعوا بمظاهرهم.. ولا بادعائهم التدين والفضيلة.. إنها أسلحة الخداع والمكر الرهيبة.. اتركوا زجاجاتكم.. وانتبهوا للمتربصين بكم.. وأفيقوا من غفلتكم.. انتبهوا لأهل الصدق.. وأعملوا عقولكم.. والتمسوا أعمالكم جدوا واجتهدوا فيها.. الزموا مواقعكم.. لا تتركوها فتهلكوا.. اتركوا اللغط والكلام.. اتركوا العبث والهذيان.. فقد أضعتم الكثير.. والهلاك ينتظركم.. ان لم تصبروا وتثابروا.. وتعملوا بجد وتبذلوا كل غالٍ ونفيس.. وتدخروا شيئا من قوتكم.. تهزمون به أعداءكم.. إن لم تضحوا من أجل حياتكم.

الغافلون على السفينة لا يُجيدون شيئا أكثر من الكلام.. وكل منهم يرى من نفسه أنه قد أوتي الحكمة وفصل الخطاب.. سمعوا التنبيه الخطير.. فانقسموا على أنفسهم كل يدلي بدلوه.. وتفرقوا نشطاء وأحزاب.. وهَمَّ اللصوص منهم بالسرقة في هذا المأزق والكل مشغول بما هو فيه.. و أيقظوا النشاط في نفوسهم.. فتحركوا بين الغافلين بهمة وعزيمة ونشاط ميزتهم وصاروا يعرفون بها.. وهم بهذا وفي هذا الهرج لن يخسروا شيئا في الحالتين.. فإذا مات أحدهم وهو يسرق.. وألقي في البحر ليكون البحر مقبرته.. منحه الآخرون لقب شهيد.. فهو وهو حي ناشط وإن مات فهو شهيد!

الأعداء في السفينة الأخرى.. يخططون.. كلما فسدت خطة يحيكون غيرها.. يرسلون من يفسد في السفينة في الخفاء.. يعيق شراعا.. أو يهلك مجدافا.. أو يزيل مسمارا.. ويرسلون أيضا من يشعل الصراع بين الغافلين.. ومن يشغلهم عن الهدف والعمل.. ويدعمون كل صاحب غرض.. وكل من اتخذ الغباء صاحبًا وصديقا.. حتى تتم له قيادة السفينة وبذلك يكون هلاكها أمرا حتميا لا شك فيه.. لكن ليس كل من على السفينة قد أصابته الغفلة.. في السفينة جنود أوفياء يعملون تحت قيادة القائد الذي اختاره الحكماء.. يدركون الخطر.. ويقاومون.. كلما أفسد الأعداء شيئا أصلحوه.. وكلما دعموا صاحب غرض كشفوا غرضه وفساده.

الصراع محتدم.. الأعداء لا يهدؤون لإهلاك سفينة الغافلين.. والحكماء والجنود الأوفياء وقائدهم لا يهدؤون لإنقاذ السفينة والوصول بها إلى بر الأمان.

ما زالت السفينة في عرض البحر.. يتولى القائد قيادتها في هذه الظروف الصعبة.. تدفعه الهمة والإخلاص.. وما زال الجدل العقيم مستمرا.. وما زال الكلام يملأ أركان السفينة.. وما زال الأعداء المتربصون بالسفينة المجاورة يصنعون المكائد.. ويحيكون الخطط.. يفكرون ويدبرون.. والغافلون غافلون.

تُرى ما الذي سيحدث لهذه السفينة؟ وكيف ستكون النهاية؟ هل سيفيق هؤلاء؟ هل سيكفون عن الكلام ويبدؤون العمل؟ هل سيلتفون حول قائدهم لينجوا من بر اثن هذا الشرك المنصوب لهم من أعدائهم؟

لن أستطيع الإجابة.. ولست و اقفًا على الشاطئ أشاهد النهاية حتى أحكيها لكم.. فأنا واحد من أولئك الذين يركبون السفينة.. أصرخ بأعلى صوتي:

أنت يا صاحب المجداف ألق ما في يسارك .. وكف عن الكلام و انتبه لمجدافك.. توقف عن الكلام فيما لا تفهم.. تكلم عن مجدافك فلست تفهم إلا فيه و انتبه إليه.. يا صاحب المجداف: البحر تئنّ فيه الرياح.. إن ضاع مجدافك.. ضاق الأمر بالملاح.. يا جميع من تركبون السفينة .. كفوا عن الكلام.. التفوا و اتحدوا حول قائدكم.. و انتبهوا إلى أعدائكم المتربصون بكم.. اعملوا ولا تعيشوا عالة فوق هذا البحر فإن أمواجه لا ترحم.. أوقفوا الكلام و ابدؤوا العمل.. أوقفوا الكلام و ابدؤوا العمل.

(الحاوي)!

في بيئة ريفية بسيطة ساذجة.. بين أناس لا يعرفون القراءة والكتابة.. وليس بينهم من يهتم بشأن العلم والمعرفة.. نشأ بطلنا يبحث عن المال في محيط بيئته التي لا تعرف غير الزرع والحصاد.

بيوت الريف لا تعرف العلو ولا يستهويها الارتفاع.. وشوارعها لا تألف البلاط ولا الأسفلت.. الترع تحيطها وتحيط أرضها.. تتخلل بين الأرض المساقي.. توزع مياه الترع.. وفي كل أرض فَحل يمر من أولها إلى آخرها يوزع المياه على الأحواض.. أما الشوارع فتتخللها الأشجار بين الحين والآخر.. هنا شجرة جميز.. وهناك شجرة سبوتة.. وهناك شجرة كافور.. وهناك شجرة توت.. وإذا أتيت قبل المغرب بقليل ستجد الفلاحين وهم عائدون بمواشيهم يمتطون الحمير إلى بيوتهم.. وكما تحيط الريف الترع والأشجار.. تحيطها السذاجة وتكتنفها.

السذاجة نعمة ونعيم.. سذاجة النفوس وسذاجة العقول.. وسذاجة الأبنية وسذاجة المتاع.. وسذاجة الطموح والآمال.. وسذاجة الحياة كلها.. وفي هذه البيئة الريفية كل أشكال هذه السذاجة والبساطة.. من أعواد القمح مع الطين حوائط البيت.. أرضيته يكتفون فيها برش الماء عليها وتنظيفها بالمقشات أو العراجين.. فتصبح ملساء ناعمة مهيأة للجلوس عليها.. المقشات والعراجين لا يشترونها إنما تجود عليهم بها هذه النخلة الواقفة أمام البيت.. إنها بيئة طيبة رائعة تلك التي تروي زرعها بالعرَق..

فيخرج خيرها مندّى بقطرات البركة.. يملأ الحياة سعادة.. ويملأ القلوب رضا.. رغم أنه يترك الجيوب خاوية.

في هذه البيئة نشأ بطلنا وكان نَهِما.. ليس نهم الطعام ولكن نهم الحياة.. نهم الرغبات والآمال.. ونهم المال.. كان دائم اليقظة.. يهوى الربح والنجاح في الحياة في دنيا المال.. دؤوبا يغتنم الفرص ويسعى إليها.. لكنه لم يرق له النجاح في طريق التعليم.. فربحه بعيد المدى.. ولم تستهوِه الدارسة ولا دنيا الكتب.

انطلق في دنيا العمل كأن بداخله ماردٌ لا يهدأ ولا يكل ولا يمل.. انطلق في كل طريق يؤدى للمال.. نشيطا مثابرا لا يعرف الكسل ولا تغفل عينه لحظة.. ولا تأتيه فرصة يربح منها إلا وينتهبها انتهابا.. كأنه رسول بُعث ليتمم الملايين والملايين من الأموال.

زرع وحصد.. وجنى ثمار حصاده.. وأبدع في زراعته حتى أدهش الجميع.. خير الزراعة كثير.. لكن أموالها قليلة.. لم يبالِ بخيرها ولم يعجبه هذا.. هذا أمر لا يعنيه ولا يغريه.. خيرها وفير لكن مالها قليلٌ وهو يريد مالًا أكثر.. في البيت أَجْوِلة الذرة والقمح.. والبصل والثوم والكشك.. وزلعة الجبنة لا تنقص جبنتها أبدا.. وزير المشّ لا ينقطع مشها.. والقربة دائمة الاهتزاز.. تقذف بالسمن في القصعة دون كلل ولا ملل.. والطيور تغدو بطانا وتروح بِطانًا أيضا.. لكن أين المال؟!.. مع كل هذا لا يوجد مال.

أصابه الضجر من الزراعة.. كان صغيرا وكان مع صغر سنه شغوفا بالمال.. والمالُ أماله عن الزراعة.. حاد به عن الخير.. رأى يوما ثعبانا أثناء

عمله في زراعة الأرض.. بدلا من أن يجرى أمامه ويفر منه جرى وراءه.. وأمسك به وقتله.. والتف حوله الناس مندهشين من جرأته.. ومن بين الواقفين عرض عليه أحدهم أن يشتري هذا الثعبان الميت.. لفت انتباهه هذا العرض وتعجب.. وزال تعجبه حين علم أن جلودها تباع.. وعرف أن جلود الثعابين غالية.. ترك الزرع وخيره.. وترك الثمار وترك الحيوانات الوديعة الأليفة وسعى وراء الثعابين.. لم ير في الثعابين خطرها وإنما رأى فيها مالها.. هرول وراء الثعابين.. وطارد الحيات.. ظلت تفر منه وظل يطاردها.. دبغ جلودها.. وجنى مالها.. هكذا بدأت حياته العظيمة.. بداية تدل على نهاية عجيبة.

جمع المال وفكر في مشروع آخر.. يدر دخلًا منتظما.. أجر مكانًا واسعا.. وجاء بالتليفزيون والفيديو.. لم تكن القنوات الفضائية وجدت ساعتها.. ولم يكن في التليفزيون غير قناتين.. فأقبل عليه الشباب.. وباع لهم المشاريب.. وأتى لهم بأجهزة الأتاري فلعبوا وأعطوه مالهم.. وربح مالا كثيرا.. منتظمًا طول العام.. لا يخضع للظروف ولا للنصيب.. غير أنه منزوع الخير.. لا عائد منه غير المال.

وأقبل على كل جديد غير مبال بقيمته وفائدته.. المهم المال.. عاش كأنه حاوٍ.. يقفز ويسرع ويختفي ويظهر ويدنو ويبتعد.. حيثما وجد المال حل.. وحيثما رحل رحل. هبط إلى القاهرة.. واشترك مع بعض معارفه.. وأخذ توكيلا لبيع التليفون المحمول.. وكانت تلك الفترة التي أقبل فيها الناس على شرائه.. وفتح فروعا أخرى وشركات أخر.. وذهب إلى الصين فاستورد منها البضائع

فربح مالًا كثيرا.. وامتلك محلًا في كل مول جديد وأصبح ثريا.. وحقق أمله وطموحه فأصبح من أصحاب الودائع في البنوك.. ومن أكبر العملاء في البورصة.

المتطلع إلى هذا.. يدرك جيدًا أن المنطق سيختم حياة هذا البطل كما يختم حياة أهل المال الساعين إليه.. لا بد أنه في نهاية حياته ستكون له مكانة عظيمة بين أصحاب الشركات ورجال الأعمال.. قد يمتلك أحدث السيارات ويمتلك فيلا في أرقى المدن.. وقد يسعى للحصول على عضوية البرلمان.. هذا هو المنطق إنه سعى واجتهد ولكل مجتهد نصيب.. أما دنيا العلم والثقافة والمعرفة.. فلا شأن له بها ولا رغبة له فيها.. إنه قد حاد عن طريقها من البداية.. أغراه بريق المال ولم يغره بريقها.. فبريقها خافت لا يراه إلا محب.. حاد عنها فحادت عنه.

لكن المنطق تنحى عن القصة.. ترك للعبث أن يكتب فيها مشهدًا.. تناول العبثُ القلمَ وقبل أن يكتب تذكر:

بالأمس كان لي صاحب يمسك بالعصا، ويضرب بها على الدف، يقضي أيامه في الصالات حيث الأفراح والليالي الملاح، وكانت دنيا المال والأعمال حلم يقظته ومنامه، كان طالبا لكنه لم يكن مغرما بأجواء الدراسة كغرامه بأجواء الصالات، وكغرامه بدنيا المال، ترك العلم والدراسة واكتفى منهما بشهادة، مال إلى المال، وذهب إلى الذهب، عشق الثراء وبريقه، فتقرب، وتملق، ونافق، وهادى، وهادن، وطبّل، ورقص، وتحنجل، وتمنجل، وتزلف، وتزلق، واجتهد حتى عرف من أين تُؤكل الكتف، فُتِحَ له الباب على مصراعيه،

اشترى وباع قبل أن يشتري، تكاثرت الأموال في يده، امتلك مصانع وشركات، وامتلك أموالًا كثيرة وعزًّا أكثر، صاحب أهل السلطة وتودّدوا إليه، حتى غدا واحدا منهم، بل وأصبح على رأسهم، والمنطق يا سادة يقر ذلك الزواج بين السلطة والمال، ويقر أيضا بهذه الأسباب والوسائل التي تكون نتيجتها المال والسلطة، ولكني لم أترك للمنطق أن يستمر في القصة، وأردت أن يكون لي لمسة فيها.

من المعلوم والذي يؤيده المنطق أنه في طريقه إلى هذا الثراء العظيم، لم يأته هذا المال فجأة، وإنما قطع شوطًا عظيما في الطريق إليه، وكانت خطواته في الطريق إلى الثراء كلها ناجحة مثمرة، يرسمها المنطق ويرسم نتائجها بعناية كما رأيتم.

ونعرف جميعًا في تاريخ القلم في هذه الدنيا، أن أصحابه لا يجيدون الكتابة إلا بعد جهد جهيد، بعد تاريخ عظيم من القراءة، يجهدون فيه أنفسهم، وتشغلهم القراءة والمعرفة عن دنيا المال، فإن القلم يا سادة شيء عظيم، ندرك ذلك حين نسمع: (ن والقلم وما يسطرون)، وحين نعرف أن أول كلمة في القرآن هي "اقرأ"، وحين نعرف أن العقاد قرأ خمسين ألف كتاب، ونعرف أن الكتاب والأدباء لكي يصبحوا أصحاب أقلام، وهبوا جزءا كبيرا من حياتهم للقراءة والمعرفة، فلا بد للكاتب قبل أن يمسك قلما يكتب به، لا بد أن يكون قد قطع شوطًا عظيمًا في القراءة في علوم الفلك، والجغرافيا، والفلسفة، والفكر، والرواية، والمسرح، والقصة، والشعر، وأن يكون قد ساح في عالم الكتب، يقرأ في التاريخ وفي الأديان، ويتجول فيها يلتمس

العجائب والغرائب، وأن يكون لديه شغف بالاطلاع على ثقافات الغرب وآدابهم، وأن تكون لدية ملكة التذوق، يتذوق الشعر ويتذوق الجمل والعبارات، ويصارع الأفكار ويتصارع معها.

هكذا قبل أن يمسك بالقلم ويكتب، أما أن يصبح فجأة كاتبًا فإن هذا هراء لا يؤيده إلا أنا "العبث"، وأنا لا أضمن لصاحبي بقاء، البتر نهاية من أتولى أمره ومن يلجأ إلي، نهاية حتمية لا محيد عنها.

لذا ففي قصتي القديمة هذه نحيت المنطق جانبا، وبلمسة مني جعلته يمسك القلم، ويكتب في أعظم الجرائد مقالا بارعا، يوحي بأن الرجل لم يكن من أصحاب المال وإنما كان من أهل الفكر والأدب، فهل يستمر قلمه، وهو لم يمسك قلما من قبل إلا لضرورة، وماذا سيكتب وهو لم يقرأ شيئا ليكتب؟!، والموهبة لا تظهر فجأة، وإنما تولد وتكبر بمرور الأيام حتى يصبح لها وجود وشأن، فهل يستمر قلمه بعد هذا؟ لا، مع أول زلة فقد فيها ماله فقد معها قلمه، وفي السجن توقف القلم عن الكتابة، إذ لم يكن قلما وإنما كان وهما، لم يؤيده المنطق، فمن يضمن له البقاء؟، فللقلم عمر وللقلم حياة، لم يفطن أنه صنيعتي أنا العبث، ومن كان صنيعتي فالموت أقرب إليه من شراك نعله.

واليوم وفي قصتنا هذه سأجعل لهذا الحاوي نفس المشهد، ورغم أنه لم يقرأ، ولا يحب القراءة، ولم تكن لديه البيئة التي تؤهله للثقافة والمعرفة، ولم تولد موهبة الكتابة عنده إلا بعد أن أصبح ذا مال، إلا أنني سأترك قلمي لصاحبي الحاوي، يلقي ببنات أفكاره، ويدلي بدلوه في دنيا الكتابة والصحافة، يراسل الصحف ويكتب، كأنه لم يكن يطارد الثعابين، وإنما عاش حياته

يطارد العلوم والمعارف، ويهرول وراء الكتب أينما كانت، يبحث عن العلم والمعرفة، وقد نسي أنه لم يسعَ وراء العلم يوما و إنما كان سعيه وراء المال، و أنه لم يجتهد يوما لتحصيل علم أو معرفة، و إنما كان اجتهاده كله لتحصيل المال، ومن جد وجد، وقد وجد، فما باله يسعى لما لم يجتهد له؟!

أوهمتُه عبثا أنه صاحب أفكار ألمعية، وصاحب عقل وقاد، و أنه لديه القدرة على الكتابة، فانساق للوهم، وساقته نفسه إلى معالجة هذا النقص الذي في حياته، فها هو يتربع على عرش المال، تكتظ البنوك به، وخزائن شركاته ملأى لا يغيضها نفقة، فكلما أنفق ربح، لم يبق غير هذا الشيء الذي أنف منه طول حياته، التعليم والمعرفة والثقافة، وليس عيبًا فيه أنه لم يكمل تعليمه فالعقاد لم يكن صاحب شهادة عُليا، وليتغاضى عن القراءة فإن مثله لا يَقرأ و إنما يُقرأ له.

وقد أغراه جهله، فظن أن ما يطرحه من هلاوس وكلام أعجف بين أصدقائه، يجعله في قامة المفكرين العظماء، ولم يخطر بباله أن كل الجالسين على المقاهي، مهرة في الكلام، ولو كان الأمر كذلك لكان كل هؤلاء مؤهلين لدخول هذا العالم.

ولأنه قلم مني أنا العبث، فسيكتب صاحبي كتابة كلها عبث، لا يحتاج فيها للقراءة عملا بالحكمة العبثية التي تقول: "العلم في الراس وليس في الكراس"، سيكتب صاحبي كتابة باهته، لا لون لها ولا رائحة ولا طعم، العوار يأخذ بتلابيب عباراتها، ويطرح العجز في نصوصها ألوان الإعياء والإعاقة،

لكنه مع كل هذا سينظر إلى هذا الخلق المشوه الذي صنعه قلمه بإعجاب واندهاش.

أنهى العبث كلامه وترك قلمه.. بعد أن أنهى مشهده.. وترك صاحبنا وفر هاربًا منه.. لم يتم معه القصة.. هذا دأبه لا قدرة له على المواصلة.. فللنتائج مقدمات حتمية.. والآن صاحبنا يجلس في غرفة خافتة الضوء.. تحيطه الأوهام وتتصارع في عقله الخرافات والخزعبلات.. يمسك بقلمه الذي لا يجيد تناوله.. يدلي ببنات أفكاره التي ترتع في عقول جميع الناس ولم تخصه بشيء على ورقة بيضاء.. فما هي نهاية هذا الماسك قلمًا يكتب به وهو لم يقرأ ولا يجيد القراءة ولا الكتابة؟ النهاية قادمة لا محالة.. والعبث لن يختم القصة وهو ليس له في القصة إلا هذا المشهد.. أما نحن.. فنحن في انتظار النهاية الحتمية التي سيكتب فيها المنطق آخر سطورها.

(مُذَبْذَب بين ذلك)!

استيقظ من نومه.. انتابه شعور بالعطش.. دون تردد توجه إلى الإناء وشرب.

وما العجيب في هذا؟!.. وأظنكم تقولون أيضا: إن هذا أمر عادي لا يحتاج إلى تردد.. ولا يحتاج إلى تنويه.. فهو فعل طبيعي.. والعطش شعور طبعي فطري.. و أقول لكم: نعم، ولكن الأمر غير ذلك في حياة بطل قصتنا.. ولو أنكم تعرفونه مثلي لتعجبتم و اندهشتم.. فإن عدم تردده هذه المرة أمر شاذ نادر في حياته.. فإنه دائم التفكير.. وأدق التفاصيل وأعظمها في حياته سواء.. كلها تحيره.. في الحيرة حياته ومماته.. وفي الحيرة أنسه ووحشته.. وفيها سعادته وأحزانه.. كل صغيرة وكبيرة في حياته تحتاج إلى تفكير وقرار.. تقولون: فليصل صلاة الاستخارة، وليستشر من حوله، و أقول لكم: إنه لن يستطيع أن يفعل هذا، فلو صلى لكل أمر يحيره.. لقضى حياته كلها يصلي.. ولو شاور في كل أمر يحيره.. لقضى حياته كلها يستشير.. وهو يحتار ويحتار في أمر حتى تضنيه الحيرة.. ويكاد التفكير أن يقتله.. وبعد كل هذا.. فإنه إذا اهتدى لحل وتوصل لأمر اختار.. فإذا اختار ندم.. أمره عجب!

لا عليكم.. ولا تجهدوا أنفسكم في الأسئلة والتفكير.. وفي الإجابة عن كيف ولم وهل.. ولا تجعلوا "حتى" تداهم أفكاركم وتَعَجُبَكُم فتأتيكم في الجملة: "حتى العطش يحتار فيه أيشرب أم لا!" و"حتى أهون الأشياء يحتار

فيها!".. فتهلك أفكاركم فإن حتى لا تترك أمرا حتى تأتي على ذيله.. كما فعلت مع السمكة من قبل.. ودعونا نشاهده الآن بعد أن شرب الماء وارتوى.

ها هو يريد أن يتناول وجبة الإفطار.. ما باله جلس كالمفكر ولم يأت بشيء يأكله؟، سأخبركم أنا.. فهو كما ترون مشغول.. لقد احتار وتردد في تناول أي نوع من الطعام.. وهطلت سماء أفكاره بأمطار وسيول من الأسئلة.. تقولون: وهل يستدعي هذا الأمر الهين أسئلة؟!.. و أقول لكم: نعم.. إن الحيرة تولد له الأسئلة من العدم.. وتخرجها له من رحم المجهول.. كما خرجت ناقة من الصخر يوما.. اسمعوه الآن وهو يتساءل:

هل سأفطر اليوم سندوتشات؟

أو أذهب فأشترى فولا ثم أعده في البيت إعدادا طيبا؟

أو أغير اليوم نوع الطعام فآكل من هذه الجبنة المقيمة في الثلاجة منذ أيام؟

أو أذهب إلى العمل وهناك سأفطر مع الزملاء؟

ثم يعيد نفس الأسئلة على ذهنه مرة أخرى.. وتظل الأسئلة تتردد على ذهنه.. وتتصارع صراعا مريرا في عقله.. وتدور مسرعة في حلقة عقله الحائرة التي لا نهاية لها.. ويهلك حماره إعياء من الهرولة وراء أسئلته و أفكاره.

ليس هذا شأنه في الإفطار فقط.. و إنما هذا شأنه في كل أمور حياته التي له فيها حق الاختيار.. سواء كان الأمر تافهًا أم عظيما.. فهو دائما مُذَبْذَبٌ في كل أموره.. قد يصل بك الأمر و أنت تتابعه أنه إذا تاه عنك وبحثت عنه

ستجده بين أمرين.. عينه زائغة فيهما.. وهو محاصر بينهما.. كأنه مقيد في البين مقيم فيه لا يستطيع فرارا.. ولا يريد عنه حولا.

وهكذا، البَيْنُ حياته ومماته ويقظته ومنامه.. ومبدؤه ومنتهاه.. الحيرة طريقه ورفيقه وغايته ومبتغاه.. بينه وبين اسم الإشارة "هؤلاء" جفوة.. فهو مذبذب بين ذلك.. لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

أعتذر إليكم عن الانشغال عنه قليلا بتفسير ظاهرة الحيرة عنده.. لقد ذهب في هذه الفترة التي انشغلنا فيها عنه إلى العمل.. أسمعكم تتعجبون وتتساءلون: وكيف انتهت مشكلته وذهب إلى العمل؟!، وأجيبكم: في هذا الوقت الذي كنت أشرح لكم حالته.. قد حل اللغز وفعل كل ما احتار فيه فاشترى سندوتشا وكيس الفول وأخذ من الثلاجة بعض الجبنة.. وأكل شيئا يسيرا ثم أخذ ذلك كله معه واشترك أيضا مع زملائه في إفطارهم.. أما في العمل فمن حسن الحظ أنه لا خيارات في العمل.

دعونا نراه بعد أن جاء من العمل.. واستراح قليلا ثم أراد أن يذهب لمقابلة صديق له.. ها هو قد ارتدى ثيابه.. ثم تفكر قليلا.. وهطلت سماؤه بالأسئلة الحائرة.. فقرر ألا يذهب الآن.. ثم جلس على سريره.. ثم قام يريد الذهاب إلى صديقه.. ثم جلس لا يريد الذهاب الآن.. ثم قام.. ثم جلس.. ثم قام.. ثم جلس.. وظلت الأسئلة تتردد على ذهنه وتتصارع صراعًا مريرًا في عقله.. تجلسه وتقعده.. وتقعده وتجلسه.. فإذا أخذ القرار بعد عناء فستجده في الشارع.. يذهب بضعة أمتار إلى الأمام.. ثم يعود بعدها للوراء.. يريد أن يرجع.. ثم تجده قد سار إلى الأمام.. ثم توقف يفكر.. ثم عاد إلى

الوراء.. ثم إلى الأمام.. ولن يصل إلى حل إلا بعد مشقة.. رغم أن كلا الأمرين سواء.

والآن أراكم قد تعجبتم.. كيف شرب هذا الحائر المتردد الماء دون تردد.. وكيف أخذ القرار بالشرب دون أن يعود فيه مرارا؟!

وإلى هنا انتهت قصتنا.. لكن قصته لم تنته.. وقصصه كلها لا نهاية لها.. أو تأتي بعد عناء.

فإلى لقاء آخر إن شاء الله.. أو سأستمر معكم في القصة.. أو سأترككم ثم أعود بعد فترة كبيرة أستريح فيها.. أو سأعود إليكم بعد قليل.. أو سأغادر إلى غير رجعة.. أو أستمر معكم.. أو إلى لقاء آخر إن شاء الله أو سأستمر أو...!

(الثائرون على أنفسهم)!

جلس على المقهى مع أصدقائه يتسامرون كعادتهم كل ليلة.. بعد أن اختاروا مكانهم المفضل في ركن المقهى خارج المبنى.. حيث الهواء الطلق وليل الصيف الساحر.. المقهى مكتظ برواده.. مكتظ بشتى الملامح.. ملامح عجيبة.. تجمع متناقضات الحياة في كل وجه.. اليأس والأمل.. والنشاط والكسل.. والعزيمة والفتور.. والضعف والقوة.. والضجر والجلد.. ملامح قوية صهرتها الحياة في بوتقة التجارب العنيفة.. فمنحتها قوة المكان والزمان.. وأكسبتها الور اثة عظمة الزمن العتيق.

الغالبية منهم اعتادوا المكان واعتادهم المكان.. وفي المقهى وجوه من أعمار شتى وظروف شتى ومهن شتى.. يرون بعين ثاقبة المثالب المحيطة بهم.. يظهرون التبرم والضجر من كل سلوك ينافي الضمير.. يلبسون ثوب العصمة ومسوح الرهبان.. ينتقدون الجميع من الوزير وحتى الغفير.. بل وقد يمتد الحديث لأكثر من ذلك فيدلون بدلوهم في مجريات الأحداث العالمية ويطرحون رؤاهم فيها.. والنادل يطوف بينهم.. ليس في قاموسه غير أسماء المشاريب وطالبيها.. وفي عقله حاسوب من نوع خاص يربط الحساب باسم صاحبه.. أو بوجهه.. همه الطواف ليس له رغبة في الجلوس.. يوزع الاهتمام على المترددين الدائمين.. ويلمح بعين ثاقبة الوجه الجديد.

بين النرد والدومينو.. وبين الآراء والأفكار اللوذعية كانت تدور رحى الأحداث في المقهى.. الضوضاء تحوم حول المكان لا تفارقه إلا حين يؤذن الديك للصباح فيكف ذوو الألسنة عن الكلام المباح.. الصوت الصادر من التلفاز يعلن عن جمع غفير من إعلاميين يلبسون ثوب العصمة ومسوح الرهبان.. يحاسبون الجميع من الوزير وحتى الغفير.. ومن الجولات يتوالى أنين الصفحات التي شوّهت معنى التواصل الاجتماعي.. والتي تمتلئ بدعوات مغرضة لثورة مريبة لا يعلم أحد الداعين إليها.. وتشتم فيها رائحة الغدر والخيانة.

على الطاولة التي تجمعهم دار الحوار بينهم قال:

"إن الظلم لا يرضاه أحد، إن الله سيجمع هؤلاء ويقول لهم: أين ملوك الأرض؟!"

وتحسر على حال البلد وقال:

"أبدا لم تكن بلدنا هكذا، كانت طول عمرها قائدة في كل مجال، وكانت تدين الدول العظمى، أهذه بلدنا؟!، هل يكون حالها هكذا بعد أن كانت سيدة الأرض؟!".

ثم يشتكي لهم من سوء الخدمة في المؤسسات الحكومية.. وأن الموظفين لا يعملون بما يرضي الله.. وقد كان له اليوم مصلحة في مؤسسة حكومية.. و أنه لولا معارفه ما استطاع أن يتم مصلحته اليوم.

(عبد الرحيم) وهو قائل هذا الكلام يعمل مدرسا.. يذهب إلى المدرسة فلا يؤدي عمله كما ينبغي.. ولا يقوم بالشرح كما يملي عليه الضمير.. وله في ذلك مبرر شيطاني يرضيه.. يقوله لنفسه دائما:

"نحن نتقاضى راتبا ضعيفا لا يكفينا، أنا أشرح على قدر ما يعطونني من راتب".

ومع أن (عبد الرحيم) لا يشرح في المدرسة.. لكنه يقضي يومه كله في الدروس الخصوصية لتلاميذ مدرسته.. الذين لو أنه أخلص في عمله وشرح لهم الدروس بما يمليه عليه ضميره وبما يرضي الله.. لأغناهم عن الحاجة إلى الدروس الخصوصية.. ولكفى آباءهم عبء الأموال التي تثقل عاتقهم.

ما يزال الحوار مستمرا.. وما يزال الأصدقاء يجلسون على المقهى.. وقد أخذت الشكوى من أحوال البلاد والعباد تدور بينهم كما تدور الشيشة بين شفاههم.

(إبراهيم) أيده في رأيه وأكمل له الشكوى عن ارتفاع الأسعار إلى هذا الحد الجنوني.. وارتفاع أسعار السلع الغذائية التي هي قوت الناس.. وعن المشاكل اليومية التي يعاني منها الناس في الطرق والمواصلات وفي كل شيء.

لعلكم لا تعرفون (إبراهيم).. (إبراهيم) موظف في إحدى المؤسسات الحكومية.. ميعاد عمله من الساعة الثامنة وحتى الساعة الثانية ظهرا.. لكنه لم يأت عمله مرة واحدة في هذا الميعاد.. إلا إذا أُخبِر أن تفتيشًا في هذه الأيام سيأتيهم.. ولا يغادر عمله أبدا في هذا الميعاد.. فقبل ميعاد انتهاء العمل بساعة يكون على استعداد لمغادرة العمل.. وهو دائما ما ينتهز أي فرصة

يستطيع فيها الغياب دون أن يقيد في دفتر الغياب.. وهو لا يتخلى عن طقوسه اليومية في العمل من الإفطار.. والمحادثات التليفونية.. وتصفح مواقع التواصل الاجتماعي.. والتجهم في وجوه المواطنين.. وحاله هذا هو أغلب حال الموظفين في كل المؤسسات الحكومية.

أما (سمير) فقد اشتكى من البطالة التي زادت عن الحد.. وعن التعيينات التي توقفت في الجهات الحكومية.. والتي بها زاد عدد من لا يعملون.. وعن حال التعليم وما آلت إليه المدارس من سوء.. وأن المدرسين في المدارس الحكومية لا يعملون بضمير.. وأنه يلجأ بذلك إلى إعطاء أبنائه دروسًا خصوصية ترهقه ماديا.

وقد تقولون فماذا يعمل (سمير)؟.. لعله لا يعمل ولا يجد ما ينفقه.. ولكني أقول لكم إن (سمير) يعمل كهربائيا.. ودخله اليومي قد يتجاوز المائتي جنيه.. وهو دائما ما يتعزز عندما يطلبه الناس لإصلاح شيء ما في منازلهم.. يجعلهم يتصلون به ويتوددون إليه ليأتي إليهم.. فإذا ما جاء بالغ في سعر ما يقوم بإصلاحه.. وهم يقبلون بهذا السعر إذ لا حيلة لهم.. فإذا استبدل لهم إحدى الأدوات الكهربائية.. باعها لهم بأضعاف ثمنها.. وقد يتعمد أن يصلحها لهم بشكل مؤقت ليحتاجوا إليه في أسرع وقت.

طاف عليهم النادل في المقهى بالمشاريب.. تناولوا المشاريب وأنهوا لعبهم وكلامهم.. كانوا يتناوبون الشيشة ويتناوبون الاتهام دون أن يشعروا.. ولم يلاحظوا أنهم الشكاة وأنهم أيضا الجناة.. لم يلاحظوا أن كل من في المقاهي وفي الشارع وفي البيوت وعلى شاشات التلفاز.. الجميع يجيدون الكلام ويجيدون

الشكوى ولا يجيدون العمل.. وأنه إذا كان لهم أن يثوروا.. فليثوروا على الإهمال الذي يجيدون صناعته.. وليثوروا على عدم مراعاتهم لحقوق العمل والوطن وحقوق الناس.. وليثوروا على أنفسهم.. ولكنهم انصرفوا ليناموا.. وليصبحوا في اليوم التالي يستأنفون مخالفاتهم ويستأنفون أيضا شكواهم.

(ذئب على أطلال حلب)!

بين الشر والبشر وجه شبه، لكن الشر أصغر من البشر بحرف!، هل جاء الشبه مصادفة، أو أنه مقصود بعناية؟!

في عمق الصحراء، بعيدا عن الناس كان يقيم، يمرح ويلعب، ويطلب طعامه في لهو وخفة، فإذا جاء الليل، وذهب الأنس وجاءت الوحشة، عوى عواءً يأنس به ويدخل به في قلب الوحشة الخوف، فيطردها من عالمه، ويذهبها إلى حيث أتت.

نأى به اللهو عن العمق.. وعلى أطراف الصحراء رأى من بعيد خيالات البشر وضجيجهم.

في الدنيا عالمان.. عالم ظاهر وعالم خفي.. عالم الظاهر تراه العيون.. والخفي تراه القلوب والنفوس الصافية.. قلوب الناس خُلقت بيضاء نقية.. لكن أطماعهم، أحقادهم، شرورهم، ضغائنهم، كلها تلوثها وتجعل عليها رانًا على رانٍ فلا ترى ولا تسمع.. أما قلوب الذئاب فهي كما هي من يوم أن خلقت إلا يوم أن تموت لم تلوث.

أبصر في العالم الخفي شرا وأوجاعا.. وسمع أنينا وصراخا.. ونظر نظرة رهبة إلى المدينة الحالمة.. لكنه وجد وجوها بريئة تحب الحياة وتريد السعادة.. وقلوبا تسعى بالرضا وتريد الخير.. و أيادي تحب العمل والعطاء.. وأكفا تربّت على قلوب الأطفال والضعفاء.. وتتصافح تتبادل السلام والمحبة.. لكن.

شيء من وجل يملأ القلب.. إحساس غامض ببوادر شر قادم.. تحسس بأنفه الهواء.. اشتم رائحة الغدر تملأ الأفق في هذا اليوم الذي أشرقت شمسه على استحياء.. رفع بصره في الأفق.. رأى في السماء ألوانا قاتمة تنذر بأحداث شؤم.. وبأوجاع وآلام تنتظرها قلوب أمهات وآباء هذه البلد.

قلوب البشر قلوب قاسية.. أعمتها القسوة عن رؤية المُلك والملكوت.. عن رؤية الروح.. عن رؤية الطهر والصفاء والنقاء.. عن رؤية الملائكة.. بل إن منهم من يقسو قلبه حتى يحيا بين الشياطين منامًا ويقظة.. يستدعيهم فيرهقهم ويزداد بهم رَهَقًا.

لكن الذئب قلبه ما يزال عامرا بالفطرة.. لم تلوثه أحقاد البشر وخبائثهم وخطاياهم.. يرى بقلبه ما لا يراه الناظرون.. ويشم بقلبه رائحة الخير ورائحة الشر.. ورائحة الصدق ورائحة الغدر.

بالقرب من (حَلَب) كان يهيم في الصحراء.. لكن اليوم يوم غير كل الأيام.. توجس خيفة.. وهدأ قليلا.. بعد قليل سمع أصوات القنابل تصم الآذان.. وفحيحا كفحيح الأفاعي يملأ الأركان.. وأصواتا تعلو وتنخفض.. وقلوبا تتطاير في السماء مودعة أهلها.

اتخذ ساترا.. رأى حمما تتقاذف على المدينة.. وحمما تصعد منها ودخانا وغبارا.. انكمش وخاف وارتعد.. وسمع الأصوات تتوالى وتتابع تقتل الحياة دون رحمة ولا هوادة.. خفتت الأصوات وعادت من حيث أتت.

هرول إلى البلد يرى ما فيها.. خشى أن يصيبوه بأذى فهو ذئب والناس تخشى الذئاب!.. لكنه أراد أن يرى ما يحدث.. غامرودخل البلد.. كان من قبل قد دخلها خلسة بعدما رآها صاخبة أضواؤها تبرق وتنشد الأمل.. واليوم دخلها وجدها ليست بلدا و إنما وجدها بقايا بلاد.. ووجد أهلها أشلاء ملقاة على الأرض في عرض الطريق.. ورأى دماءً على الوجوه لا تجد من يحقنها.. وعظامًا لا تجد من يضمدها.. وبين الهدم صدور مطوية على أصحابها.. ورؤوس مهشمة هشمتها بيوتهم التي كانت تحميهم وتؤويهم.

طاف بين الشوارع لم يمنعه مانع.. المدينة خالية لم يعد فيها حياة.. رأى ما لم يكن يتصور.. رأى البشاعة الإنسانية.. رأى الحقارة والخسة.. رأى ما يذهب العقل.. ويقتل الروح.. رأى أطفالا ممزقة أجسادهم.. ورجالا فقدوا أبناءهم.. وأمهات مطروحات في عرض الطرق.

وسمع ويا هول ما سمع.. سمع أنينا وآهات.. وسمع بكاء وشهيقا وزفرات.. وسمع صراخا يملأ الكون حزنا.. سمع ورأى وتمنى لو أنه لا يسمع ولا يرى.

ووقف على حافة المدينة يعوي.. يخاطب الإنسانية علها تسمع وتعي.. أيا كان السبب و أيا كان الفاعل.. إن كان هذا الذي يدافع عن وطنه.. أو هؤلاء الذين يديرون دفة القتل في الخفاء.

عوى الذئب عواء يحمل آلاما وأوجاعا مريرة.. ونظر إلى المساكين من الأطفال و آبائهم وأمهاتهم أبرياء لم يجرموا.. ولم يجنوا على أحد.. وهم مطروحون في دمائهم يئنون ولا مغيث.. وأخذ يتساءل في حسرة: ما هذا الظلم

الذي يحياه الإنسان.. يقتل الأنفس.. يقطع الرقاب.. يمزق الأجساد.. ينهي الحياة ويفني الإنسانية.. ويرسم في الطرقات صورا من الغدر تفوق الخيال.. هل فعلت بكم الذئاب هذا، هل أكلتكم الذئاب كما أكلت يوسف؟!

عوى الذئب عواء مخيفا.. اختلط فيه صوته بصوت البكاء.. يتساءل وقد أفجعته المناظر البشعة: ما أظلم الإنسان وما أكفره.. يرتكب أبشع الجرائم.. وينسب الشر للذئاب وينسب إليها الافتراس.. وهو أشد شرًّا وأشد افتراسًا منها.. وهي بريئة من كل شر.. براءتها من دم يوسف؟!

بالأمس البعيد أرادوا قتل أخيهم.. غدروا به وألقوه دون رحمة في غياهب جب.. ثم عادوا إلى أبيهم يفترون على الذئب كذبا.. يتهمون الذئب بما لم يجن.. الذئب لم يأكل أخاهم.. إنما هم من غدروا به.. هذا الذئب الذي أنصفه الرب والأب.

ما هذا أيها الناس؟!.. في هذا الكوكب مئات المخلوقات تعيش مثلكم عليها.. تقتات منها وتحيا فيها.. ما أحدثت ضجةً ولا ضجيجا.. ولم يسمع لها صوت بأذى كهذا.. ما قذفت قنابل لتهلك وتبيد وتدمر وتهدم بيوتًا على رؤوس أهلها.. وما تآمرت ولا خططت.. ولا اجتمعت على شر أبدا.

يا قساة القلوب تقولون: الذئب حيوان مفترس! حقا إذا لم تستح فقل ما شئت.. تاريخكم تاريخ مليء بالجرائم.. كان منكم من كان يقتل الأطفال الذكور ويترك الإناث.. ومنكم من أحرق بلدا وهو يغني.. ومنكم من ألقى قنبلة فأفنى بها الحياة في مدينتين.. وأهلك أهلها جميعا في سابقة لم تر الدنيا مثلها.

عوى الذئب على أطراف (حلب).. عوى وهو يشاهد أطلالها وأشلاءها.. عوى وهو يرى جثثا ممزقة ودماء تسيل.. عوى وهو يرى الخراب يرسم بصورة سوداء وحشية الإنسان وهمجيته.. وظلمه وقهره.. وفجره وخبثه.. عوى الذئب عواء تردد في سمائها.. واختلط مع صراخ وعويل وبكاء قلوب أهلها التي تسيل منها دموع تلتهب.. وسمع أصوات أناس.. فجرى وأسرع.. وخشي أن يفتك به الناس.. فإنهم لا قلوب لهم.

(صراع في الخفاء)!

.١٠.

بين العالمين، عالم الطين وعالم النار، حواجز من أمن، اختراقها يهتكه ويفنيه.

في جنح الليل المظلم البَهيم.. في عمق التيه.. في طريق المجهول الغامض.. ملائكة وأشباح.. وأرواح خفية.. وفي قاع الغموض أحراش تسكنها الريبة.. ويزأر فيها الخوف ويعوي.. وهوام تحوم في الأجواء دون قيد ولا شرط.

في ليل عجيب الشأن.. يحمل في جعبته أهوالا وأهوالا.. وفي ظلام عجيب الظلمة.. ظلام كأنه من عالم آخر.. يطوي فيه مسرحا لحروب مهولة.. حروب الخفاء.. حروب المكر والدهاء.. حروب الأرواح والنفوس.. حروب الوسواس والخناس.. حروب الناروالنور.

قبل ساعات قليلة كان هو وزوجته قد استقرا عند أخيه في الطابق الخامس.. جلسوا جميعا يتسامرون بعد غداء ومحبة.. زيارة عائلية لا تروق لدنيا الأشباح.. ففيها الأنس.. والأُنس والإنسان رفيقان.. والأُنس يبث الرعب في الأشباح.. ويقتل أمانها.. فهم والوحشة صِنوان لا يفترقان.

النهار لملم ثيابه وولى.. أدبر ولم يلتفت ولم يعقب.. ترك الساحة لليل.. وبعد مدة أظلت الشارع أحجبة من وجل.. أطاحت بالأضواء المنبعثة من أعمدة الإنارة.. آلاف من مخلوقات السموم.. من الخناس والوساس.. آلاف من مخلوقات مارجية.. تداعت وأحاطت بالمكان.. نفخ أحدهم صوب الشارع..

فأخرج من جوفه آلاف الهوام التي تطايرت ودخلت النوافذ وهامت حول نفوس سكانها.. أُغلقت النوافذ من العمائر المطلة على الشارع من الجانبين في وقت واحد.. كأنما أمرهم آمر.. الأصوات التي كانت تملأ الشارع فرت.. كأنما نهرها أحد فخرجت من الشارع خائفة تترقب.. رأى الصمتُ ذلك فجاء إلى هذا الشارع يسعى.. ملأه وأطبق عليه فلا يُسمع فيه صوت ولا همس.

في آخر الشارع مارة.. كلما وقف أحدهم على رأسه.. وألقى عينه في جوفه.. أوجس خيفة.. وكلما أراد مارٌّ المرور منه.. نظر إلى الشارع نظرة ريبة.. ثم ولى عنه إلى غيره.. وانقطعت الأقدام عن المرور.

وفى هذه الليلة كانت هذه الحرب المهولة.. تدار في جو من الريبة.. واتخذت مسرحها بالقرب منهما.. بينما كانت زيارته قد أوشكت على الانتهاء.. الطريق كان قد أظله الغموض.. في السماء وجوه تظهر ثم تختفي.. النجوم توارت رعبا وفزعا.. والليل مأوى للخفايا والخبايا.. ومرتع خصب للوحشة والرهبة.. الطريق اكتظ فجأة بأرواح الوجل والخوف.. عالم رهيب من الخوف مفزع وإن كانوا في حالة لهو وعبث.

أتوا من الكهوف البعيدة.. من أعماق الجبال الموحشة.. من أوديتها المخيفة المرعبة.. ومن الجزر الموغلة في البعد.. ليمارسوا دور الشر الأبدي.. من قديم وهم يميلون للهلاك.. في الفساد مأكلهم وفي سفك الدماء مشربهم.. رغبتهم عارمة في بسط الخوف والرعب على النفس التي تسكن الطين.. وهيمنة الفزع على هذه القلوب.

استظلوا بالليل.. وأنسوا بالوحشة والسكون.. جاسوا خلال الديار والنفوس.. واتخذوا الصمت القاتل مرتعا للأوهام.. واستقروا في الظلام.. ألقوا بالغموض على الشارع.. وأضفوا عليه شيئا من القتامة.. فتحوا في الحُجُب ثقبا.. فغروا أفواههم ونفخوا.. بثوا الرعب من بين أنيابهم المؤصدة.. وانتظروا الضحية القادمة.

الوقت متأخر.. لم ينصرفا إلا في الساعة الثانية عشرة ليلا.. كان هو وزوجته عند أخيه في زيارة تأخرا فيها.. امتطيا السيارة في خيفة وتوجس.. من أين أتتهم الخيفة والتوجس؟!.. ما أعجب القلوب!.. أحيانا تُبصر شيئا في الخفاء وتستشعر الخطر.. والروح التي تسكن الطين يفزعها أن تشعر بتلك الروح التي تسكن النار.

احتوتهما السيارة وهي ترتجف.. وفي شارع يرتعش سارا.. من الخفاء ألقى العبثُ ظله على الأحداث.. تداخلت الهواجس بالأوهام.. طرحت الريبة في النفوس والعقول أسئلتها الخائفة.. تلاقت العيون المرتابة.. تبادلت الأسئلة المخيفة الصامتة.. أنسير في المكان أم ماذا.. أهذا خداع بصري أم ماذا.. ما هذا؟!.. شيء مرعب مخيف.. ولحظات غامضة.. فر الأمن من النفوس كأنما رأى فزعا.. اختلت المعاني والصور.. تخلى المكان عن المكان.. وتخلى الزمان عن الزمان.. عشية وضحاها.. وعسعسة الليل وتنفس الصباح.. والفلق والغسق.. كل الأزمنة في آن واحد!.

أخذت السيارة تسير بهما في الشارع الذي تبدل فجأة.. وأخذت صور الأبنية على الجانبين فيه تتغير وتتبدل.. فالأبراج تهبط وتعلو.. وتتحول الأبنية

مرة إلى خرابات.. ومرة إلى حدائق ذات أشجار موحشة.. السيارة تسير إلى الأمام بينما الشارع يسير إلى الأمام بسرعة أكبر.. سرعة الشارع للأمام جعلت السيارة كأنها تعود للخلف بينما هي تسير للأمام بسرعة كبيرة.. واختلطت الظلمة بالأضواء.. فقدت الأضواء معناها.. أضواء لا تنير.. ولا تكشف مستورا.. ولا تظهر مخفيا.. واختلط معنى الوحشة بالأنس.. الخوف ملأ أعينهما.. نظر إليها ونظرت إليه.. استعاذت واستعاذ.. هنا هبط النور من عليائه.. انكشف للأرواح فهدأت.. لامس شغاف القلوب فاطمأنت.. وأحال الخوف أمنا.. احتشد أعداؤهم بأعداد غفيرة.. ملؤوا الأجواء برائحة اللهب.. بين اللهب والحمأ عداء وتنافر أبدي.. استشعرت القلوب مسا من نار السموم فوجلت.. تزايدت أعدادهم فأخفت الضوء وأحالت الأمن خوفا.. أصوات مفزعة وأصوات آمنة تصطك كأنما تتنازع شيئا ما.. ثمة حربٌ ضروسٌ تدار في خفاء هذا المكان العجيب المخيف المرعب المريب.

بدت عليهما علامات القلق.. وكلما امتلأ قلبهما بالخوف.. تبدلت الظلمة إلى نور وعاد الشارع إلى طبيعته.. لكنهما ما زالا في منتصف هذا الشارع العجيب.. وفي منتصف هذا الليل الأعجب.. المنتصف لا يريد أن ينتهي.. منتصف الشارع ومنتصف الليل.. متى ينتهيان ويقطعان هذا الشارع؟!.. متى ينتهيان من هذه اللحظة التي خرجت عن الزمان وتوقفت؟!

خفتت الأضواء.. وأظلم الشارع رويدا رويدا.. واكتظ الظلام بمارج مشؤوم.. واصطكت الأصوات ببعضها.. وأدار الخفاءُ الخفاءَ.. واستولت على القلوب خيالات الفزع والرعب.. وفي الأفق أخذت تسبح سحائب من وجل.

ومرة أخرى كأن حربا ضروسا تدار في الخفاء.. نزاع على تلك الغنيمة المارة.. التي اقتنصها أحدهم فأخرجها من الزمان والمكان.. ودفاعا عنها وحمايتها منهم.. ونجدتهم من هوة المكان والزمان.. الصراع محتدم.. لكن.

لكن حظهما كان سعيدا.. فالأرواح الخيرة كان من نصيبها الانتصار.. بقواها وقواتها.. أرواح النور التي هبطت من عليائها.. سدت منافذ الخفاء بأجنحتها.. وامتلكت زمام القهر.. وأخذت بناصية الطرد.. وزمجرت فملأت الصمت نصرا.. فرت الوحشة إلى الفيافي والقفار.. وولت وأدبرت واخترقت البُعد واستقرت فيه.. وعادت الأضواء تنير.. أشارت إلى الطمأنينة والأنس والأمان ودعتهم فلبوا.. وامتلأ الليل أنسا.. النور منبع الأنس ومنبت الأمان.. هبط النور وهبطت الأرواح الخيرة.. فأعادت إلى الزمان زمانه وإلى المكان مكانه.. وإلى النور نوره وضياءه.

وفي السيارة كانا جالسين.. يشعران أن ثمة شيئا مريبا يحدث.. الأمر جد غريب.. والآن فرت الوحشة من قلبيهما.. وتلفتا فوجدا الشارع عاد إلى عقله وطبيعته.. بعدما كادا يظنان أن الجنون أصابه.. غادرت السيارة المنتصف.. وغادر المنتصفُ المنتصفَ.. الأرواح الخيرة ما زالت قريبة منهما.. ابتسموا ابتسامة شع منها الأمن أضواء.. ملأت الأضواء الليل نورا.. وملأ النورُ النورَ بهجة وسرورا.. لكن السيارة الناجية من أهوال هذا الهول.. ومن هذا الفزع وهذه الحَيرة.. الناجية من هذا التيه المرعب.. كانت قد سقطت عجلاتها الأمامية في حفرة!

ما هذه الورطة!.. الشارع خاوٍ من الناس.. خالٍ من المارة.. همّ أن يخرج من السيارة يبحث عن أحد.. قبل أن يخرج من السيارة نظر وراءه فوجد أناسا قد أتوا من عمق هذا الخفاء.. سمعهم وهم يتنادون لإنقاذه.. رفعوا السيارة وهو وزوجته بداخلها.. رفعوها بخفة ودون عناء كأنما يرفعون قلما.. وأزاحوها عن الحفرة بسهولة عجيبة.. حمدا الله.. و انبسطت أساريرهما.. وأدار هو السيارة لينطلق.. ونظر خلفه من نافذة السيارة ليشكرهم .. لكنه لم يجدهم.

.٢٠

(أربعة عشر راكبا)!

اخترقتُ الخفاءَ في غفلة من حراسه، الخفاء بديل للمكان والزمان عند البشر، وهو عالم غريب عجيب رهيب مريب، العبث قانون الحياة فيه، والهول قصته التي لا تنتهي، والليل مسرح الأحداث وشمس نهاره، وفيه تحيا قبائل ذات أعداد ضخمة مهولة لا حصر لها، أشكال وألوان وطوائف وعناصر شتى، وكل قبيلة فيها أعداد غفيرة من الأفراد لا حصر لهم، الهذيان يملأ أركان الخفاءِ صياحا، والرياح والزوابع تجوب الخفاء ذهابا وإيابا، والصراخ يعوي ويستغيث من نفسه، والصراع العبثي المحتدم منذ القدم بين القبائل والأفراد ما يزال متأجّجًا لا يهدأ ولا يتوقف.

هذا شكل الحياة عندنا، الخفاء بيئتنا وفيه ترتع أحلامنا، الغوغائية نظامنا والفتك حرثنا وحصادنا وحياتنا.

كنت قد سمعت عن هذه الحادثة التي مكر فيها قومنا بذلك الشاب وزوجته الآدميين، وهما يركبان سيارتهما عائدين إلى منزلهما، والتي قصصتها عليكم الآن، وكنت قد رأيت قومنا وهم عائدون ما بين جريح وكسيح، بعد أن طاردتهم الأرواح الأخرى، أرواح النور التي حمت الشاب وزوجته منا، واشتقت وأنا أسمع هذه القصة لرؤية البشر والتعامل معهم.

الآباء يحذروننا من الخروج قبل أن يشتد عودنا، ويحيطون الخفاء بضروب الأمن، "مكر البشر عظيم وهم غير مأموني الجانب، وهم أهل مكر ودهاء وخطرهم مرعب".

هكذا يكررون هذا التنبيه دوما على أسماعنا، لكنني أحب اللهو واللعب معهم، صادفت البشر ور اقبتهم أياما ور أيتهم سذَّج لا خطر منهم.

أرغب مرارا في الخروج من الخفاء لكن الحراسة قوية لا تغفل ولا تنام، والعيون أسوار عتيدة تحيط الخفاء بدقة وعناية، وعالمنا عالم الخفاء عالم عميق وأغواره قابعة في ظلام دامس، ثلاث طبقات من الظلام صنعت منه عالما لا يمكن اختر اقه، الأمر صعب لكني اختلست غفلة، ونفذت بأعجوبة من هذا الخفاء المحيط بي أينما وليت، وفتحت طاقة في الأقاصي بعيدة عن العيون، نخرج منها أنا ورفاقي وندخل منها متى عدنا.

اخترت وقتا متأخرا من الليل، حيث يكف ضجيج البشر ويحل السكون، بعد أن خرجت طفت بنظري خارج الخفاء فوجدت مكانا آمنا في عالم البشر، الأماكن الآمنة عند البشر هي الأماكن التي تخلو منهم، في الخر ائب والأماكن المهجورة، وغيرها من تلك الأماكن التي لا يوجد فيها إنسان، جئت هذا المكان وفي الوحشة جلست مترقبا، على البعد سيارة "ميكروباص" قادمة، يقودها سائق يعمل عليها، نفخت في الحُجُب حتى أرى وجه قائدها، وبيدي فتحت ثقبا فيها فعاينته، وجدته طيبا، أردت العبث واللهو معه حينا.

استدعيت نفرا من رفاقي، ليشاركوني المرح واللهو، كثير ما يخرج من الخفاء نفرمنا، يلتمسون عجائب البشروغرائبهم.

لا نحتاج إلى أدوات للتنكر ولا ملابس، ولا نحتاج إلى أقنعة، نتشكل كيفما نريد، وعلى أي هيئة تعجبنا، المكان عند البشر تتحكم فيه وفيهم قوانين الزمان، فليس لهم أن يقطعوا كل الأماكن إلا في أوقات عدة، أما عندنا في الخفاء فلا زمان، نستطيع التواجد في عدة أماكن في آن واحد، وأن يمارس الواحد منا مائة عمل، ويكون في مائة شكل وفي مائة مكان في آن واحد.

وجاء الرفاق على عجل، ما زلنا أطفالا نحب اللعب واللهو، الكبار لا يحبون اللعب ويرونه شيئا لا قيمة له، أما نحن فإنه غايتنا وهدفنا، ناديتهم جميعا، أكبرنا طفل لم يتجاوز بعد المائة عام، ما زلنا جميعا صغارا ووقت الجد لم يحن بعد.

ها هو يقترب.. السيارة التي يقودها ويتكسب منها خالية من الركاب، وهو قد رحل من الموقف الذي تقف فيه السيارات التي تنقل الركاب، الوقت تأخر وانقطع الناس عن الإتيان لموقف السيارات.. بعد أن يئس من مجيء الركاب، قرر العودة إلى المنزل.

نحن على بعد ثلاثة كيلو مترات من الموقف، استدعيت رفاقي وكونت منهم ومني أربعة عشر رجلا ووقفنا على الطريق كمن ينتظر مواصلة، ولما رآنا علت محياه البشائر، وقال في فرحة: يا فرج الله!

توقف حين أشرنا إليه، وركبنا جميعا السيارة، ودفعنا له الأجرة، لكني أعجبتني اللعبة، وقررت أن ألهو معه أكثر وأكثر.

قررت أن ننزل جميعا في المحطة القادمة، وقبل أن ننزل كنت قد استنسخت منا أشكالا أخرى أربعة عشر شكلا آخر، وأوقفتهم جميعا على المحطة القادمة، ولما رآهم تعجب وازداد سعادة، إنه التوفيق والتعويض عن هذا اليوم الخالي من الركاب، ها هو يعوض الخسائر في آخر اليوم.

نزلنا نحن الأربعة عشر جميعا، وركبنا نحن الأربعة عشر جميعا بالأشكال الأخرى، وقمنا بدفع الأجرة للمحطة القادمة، وتعجب السائق، للمرة الثانية يتكرر معه هذا الأمر!

وقبل أن ننزل كنت قد استنسخت أربعة عشر آخرين، لكني هذه المرة جعلت من بينهم نسوة و أبناء كبارا في عمر الشباب، وتعجب السائق أيما تعجب، وأخذ يفكر في هذا الأمر العجيب، وهذا الحظ الغريب، ما باله اليوم في كل محطة ينزل كل الركاب ويركب آخرون؟!، لكنه لم يفكر كثيرا، فهذا الدور بهذه الطريقة قد عوضه و أنعش له يومه، وسيعيده إلى بيته راضيا سعيدا.

لم يبق غير محطات قليلة وينتهي طريقه، ودفعنا نحن الأربعة عشر راكبا الأجرة للمحطة القادمة، لكن الريبة بدأت تدخل قلبه، والشك حام حوله والخوف، لكن لم يحدث شيء يشعره بالأذى والضرر، فما باله يخاف ويرتاب؟!، تناول الأجرة وهو مرتاب، الريبة أخفت السعادة بالمال، وأزالت من محياه البشائر.

لم أجعل ما أستنسخهم منا هذه المرة على المحطة القادمة، وانما جعلتهم على المحطة التي تليها، لكي أزيل رهبته وخوفه منا، ولما رأى المحطة القادمة خاوية من الركاب، عاد له اطمئنانه، وظن الأمر صدفة، ونزلنا إلى هذه المحطة ولم يركب معه أحد، وامتطينا الهواء إلى المحطة التي تليها، ووقفنا ننتظره.

ها هو قادم إلى المحطة ونحن واقفون، أشرنا له، أبطأ السيارة قليلا ودقق النظر فينا.. لكنه لم يتوقف، وإنما أسرع أشد الإسراع، ما له يفعل هذا وقد جعلته يطمئن لنا؟!

آه نسيت، لقد نسيت أن أغير أشكالنا هذه المرة، فكنا على نفس الشكل في المرة الأولى، فلما رآنا ولى هاربا ولم يعقب.

ضحكنا جميعا لهذا الأمر، لقد كانت اللعبة جميلة هذا اليوم، ولا بد أنه لن ينسى هذه الليلة أبدا!

.٣٠

(السائق)!

مرت هذه الليلة الجميلة، ودلفنا ونحن نضحك من هذا الموقف وهذه اللعبة الظريفة إلى الخفاء من الطاقة التي صنعتها، لم يعلم أحد من آبائنا بخروجنا كالمعتاد، هم مشغولون في الهوس الذي يملأ الحياة عندنا.

تروس الهوس في عالمنا دائمة الدوران، يحرك بعضها بعضا لا تتوقف أبدا، لماذا اختار قومنا هذه الحياة العجيبة؟!، الهوس يصنع الجنون جملة وتفصيلا في عالمنا، قبائل تطير وقبائل تزحف، قبائل تقبل كالأعاصير وتنقض وهي تزوم كالرياح والصواعق، وقبائل تهرب في رُعب وفَزَع وهي تتصايح صياحا عجيبا.

في عالمنا يصنع الهوس جوا من الصراع العبثي المخيف، الجنون يرسم بريشته المرعبة شكل الحياة، ويخطط لها أحداثها، وقبائلنا تحيا بالفَتْكِ وتحيا له، وتربطهم ببعضهم وشائج من صراع أبدي، قبائلنا كثيرة منها بنو دهمان، وبنو قيعان، وبنو غيلان، وبنو القماقم، ومنا الشماشقة، والدناهشة، و أنواعنا كثيرة أيضا، مائيون، وترابيون، وهوائيون، وقمريون، وضوئيون، وناريون، والحياة هنا يملؤها الكر والفر والاصطدام والوقوع والهد والقفز والطيران والخنس، أصوات الاصطكاك لا تكف، والشرر المتطاير منها دائم الصعود يعلن عن حياة كلها حرب، وحرب كلها حياة.

حتى الأكل لا يتم في هدوء، تسمعنا ونحن نأكل العظم فتسمع منا أصواتا كأنها أصوات آلات تطحن الأحجار، العظام طعام جيد، البشر لا يأكلون العظام ولا يحبونها، يأكلون اللحم ويتركون العظم، ما أشقاهم وما أتعسهم، يتركون ألذ الطعام ويأكلون أرذله!

أقضي أجمل الأوقات هنا وأنا أجلس إلى الآباء والأجداد في مجالس أسمارهم، أسمع منهم الحكايات العظيمة عن قصص الثأر والانتقام بين القبائل، عن حكايات النصر والغلبة، عن الملك شمهورش، وعن الملك برقان، وعن سعصيائيل ومهيائيل، وعن غيرهم، وعن المقيدين في ضحضاح يطلبون العفو، وعن سابع قاع حيث الأقفاص الحديدية التي يُحبس فيها الأسرى والمجرمون، وعن المحبوسين في أقفاص مجهولة، على جرائم مجهولة، لم يحبسهم أحد من قومنا ولا يُعلم من حبسهم، وبأي سلطان حبسهم، ولا يستطيع أحد فكاكهم.

السير نهارا خطر عظيم، النور عالم مخيف مجهول، النداهة من البشر ربما تقابل الواحد منا فلا يملك منها فكاكا، كل نساء البشر نداهات، إذا سطت إحداهن على قلب واحد منا أوقعته في شباكها فيأتيها مسلوب الإرادة، وتهلكه فيها عشقا ولا يعود إلينا مرة أخرى، يحيا فيها ويموت معها.

يأتيها على أمل السعادة بالعشق والغرام، وعلى أمل حياة تملؤها البهجة والهيام، لكن حياته معها لا يكون فيها أي نعيم أو سعادة، إنها حياة محكوم عليها بالشقاء لهما، فهو يسكن نفسها، فيحدث فيها هوسا، ويصيبها بالاضطرابات والخلل، يؤرق منامها، ويزهدها في الطعام فتظل تضعف

وتجحظ عيناها ويجف جلدها ويشحب وجهها، ويظل يجهدها ويشقيها، وكلما هم بالخروج منها هيّج فيها الصرع، وتناوبها به مرارا وتكرارا، فيذهب بها أهلها لمن لهم علم من البشر بنا ومن لا علم لهم، فيكوُونه بسياط من لهيب، وينخسونه ويجلدونه، ويقذفونه بالحمم والحميم، ويرمونه بصيحات تزلزل أركانه، وتدمره فيكون كهشيم المحتظر، وربما لا يستطيعون أن يخرجوه منها، فيهرب ويتضاءل فيها فارا منهم ومن بطشهم، فيعيش الويل فيها أشكالا وألو انا.

الغرام، ألا لعنة على الغرام، إنه هلاك مبين، وعذاب مرير.

الخطر لا يتوقف عند هذا الحد على الذكور فقط، فذات مرة خَرجتْ من الخفاء أنثى منا، رأت شابا من الناس مفتول العضلات، يعمل نجار مسلّح، ما الفرق عندنا بين نجار المسلح وعارض الأزياء؟!، لا فرق على الإطلاق.

المهم أنها رأت هذا الشاب فهامت به أيما هيام، ورغم كل التحذيرات من الدخول في جسمه، إلا أن العشق كان قد سطا على قلبها وعقلها فلم يترك لها فرصة للاختيار، دخلته وفي منامه هامت به وهام بها، لكنها كانت قد سكنت في كنف الهياج في عقله، ولم تستطع الخروج، وكانت كلما تمردت وأرادت الخروج، لم تقدر على ذلك فكان يهيج، وتثور هي تريد الخروج وتتحرك فيه فيثور هو لا يعلم لماذا، وينتفض ويمسك بالعَتَلة ويخرج إلى الطريق، وعند إحدى المطبات على الطريق المجاور لبيته يقف يهشم زجاج السيارات، ينفس بذلك عن غضبه، ولا يكف عن ذلك إلا حين تكف هي عن

محاولة الخروج وتهدأ وتستكين، وهكذا عاشت معذبة فيه، وعاش هو معذبا بها.

للغرام ضريبة، ولعدم الأخذ بالحيطة والحذر ضريبة.

عندما سمعت هذه الحكايات سألت أحد آبائنا اسمه "ابو محرز" وكان ذا علم، هل يجوز زواج الجن من الإنس؟، فأجابني:

"إن ذلك يا بنيّ خطير، والإجابة على هذا السؤال لا طاقة لنا بها، إنما التمس معي الإجابة عند البشر فإن علماءهم أجابوا عليها، فمنهم من حرمه وهو قول الإمام أحمد، ومنهم من كرهه وهو قول الإمام مالك، وقد أباحه بعض الشافعية، وعلة التحريم والكراهة وجيهة ذكرها الجمال السجستاني وهو من علماء المذهب الحنفي في قوله:

"إنه لا يجوز المناكحة بين الجن والإنس و إنسان الماء لاختلاف الجنس".

لكن يعجبني أيضا قول أحد علمائهم وهو الماوردي حيث قال:

"وهذا مستنكر للعقول، لتباين الجنسين واختلاف الطبعين، إذ الآدمي جسماني والجني روحاني، وهذا من صلصال كالفخار وذلك من مارج من نار، والامتزاج مع هذا التباين مدفوع، والتناسل مع الاختلاف ممنوع".

وهكذا تعلم يا بني أنه أمر لا يجوز، فاشغل نفسك بأكل الفستق واللوز، وناولني قبل أن تمشي هذا الكوز".

أحب أن أجلس معه كثيرا، إنه يتودد لي ويضحكني بأقواله هذه، إنه من الآباء المعمرين، أكسبته الحياة لينًا ورفقا، وكلامه لطيف وظريف.

حكايات الآباء والأجداد كثيرة، لا نهاية لها، وهي ممتعة ومؤلمة، والنهار يخفي في جعبته كثيرا من الأهوال، التي ينسج بها الأحداث والأزمات، ما أجمل الليل وما أجمل الظلام الحالك!

والليلة وبينما أنا أتجول، وقد ذهب ذلك النور المخيف الذي يحل على البشر، فينتشرون فيه دون خوف ولا فزع، قررت الخروج إليهم في هذا الوقت المتأخر من الليل فهو أنسب الأوقات للخروج إليهم، وخرجت من الطاقة التي حدثتكم عنها والتي سميتها "طاقة السعادة واللهو".

وجدت شابًّا يقف ينتظر في قلق سيارة توصله إلى بيته، في مكان مظلم موحش، السيارات التي تعمل بالأجرة توقفت، والسيارات الخاصة يخشونه لا أحد يريد أن يقف له، البشر افتقدوا للأمان فلا يأمن بعضهم بعضا.

الوقت متأخر وقررت أن أساعده، مددت يدي في الهواء فتمثلت سيارة ميكروباص، كتلك التي كنا نركبها في الليلة السابقة، قدتها وتوقفت عنده.

بدت على وجهه علامات الراحة والاطمئنان، كان من كثرة وقوفه، قد يئس من وجود مواصلة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وكان قد أيقن أنه سيظل و اقفا هكذا حتى الصباح، لكن هذه السيارة جاءت نجدة له.

ركب بجواري في المقعد الأمامي، وأردت أن ألاعبه لعبة لطيفة، أعطيته أموالا يعدها، أخذها على الرُّحب والسعة، عَدُّ الأموال من الأمور التي تروق للبشر، الأموال تميل لها أنفسهم وعدها أمر مُسَلٍّ وممتع.

أخذ الأموال وعدها، ثم مد يده لي بها وقال:

"هي مائة وعشرون".

لم آخذها منه، وقلت له:

"عدها مرة أخرى".

فعدها وقال:

"يبدو أني أخطأت، إنها تسعون فقط".

لم آخذها منه، وقلت له:

"عدها مرة أخرى".

فعدها ووجدها مائة وعشرين فتحير، وعدها مرة أخرى دون أن أقول له ليتأكد، فوجدها مائة وعشرين، فتعجب.

كنت سعيدًا به وهو في حيرته هذه، يتساءل في نفسه: "ما الذي يحدث؟!"، ومد يده هذه المرة وهو متأكد من أنها مائة وعشرون، وقال لي:

"هي مائة وعشرون".

فقلت له:

"عدها مرة أخرى".

فنظر إلي في ارتياب، فنحيت وجهي عنه لئلا تقع عينه على عيني فيخاف، في العيون مرايا القلوب، لو أنه نظر إلي عيني لأحس بالهلع والخوف أو بالريبة على الأقل، لذا نحيت وجهي عنه.

أخذ يعد الأموال وقد أصابه شيء من القلق، وعدها فوجدها مائة وخمسين، هنا أصابته الريبة وبدأ الخوف يداخله، فعدها مرة أخرى دون أن ينظر إلي فوجدها ثمانين، وعندها بدأ ينظر إلى بريبة، لكنى لم أمكنه من مواجهتي، وقد امتلأ قلبه بالرعب والفزع، وكاد أن يلقي بنفسه من السيارة

خوفا ورعبا، ولكن لحسن الحظ كنا قد وصلنا إلى محطته فتوقفت لينزل، نزل من السيارة ودون أن ينظر إلي فتح الباب ونزل، ونظر إلى السيارة فوجدها قد اختفت، ونظرت إليه فوجدته قد هرول مسرعا لا يلتفت ولا يتوقف.

بسطاء هؤلاء الآدميون، إنهم يسعدونني بطيبتهم وبساطتهم.

ضحكت هذا اليوم كثيرا، عدت إلى الخفاء سعيدا، لقد ساعدته في الوصول إلى بيته، وقد أسعدتني سذاجته وطيبته، لو فكّر قليلا ما خاف مني فقد ساعدته، ومن يساعد لا يأتي شر منه، وعدت و أنا أضحك في هذه الليلة من منظره وهو يسرع الخطى يهرول ويقفز ويتقافز خوفا مني.

. ٤٠ .

بائع الذرة

كنت سأنسى أن أقول لكم اسمي، اسمي فقطش، هكذا سماني أبي تيمُّنا بحكيمنا العظيم، يريدني أن أكون حكيما، أربح هيبة قومي واحترامهم لي، وأكون بينهم ذا مكانة وقدرعظيم.

لكنني أحب اللعب واللهو، فما معنى الحياة إن لم نسعد فيها، ونمرح ونلهو؟!، الحكمة تحتاج إلى علم، والعلم يحتاج إلى جهد عظيم، ويحتاج إلى عزيمة قوية، ويقيد صاحبه إلى هدف لا يحيد عنه، وأنا أحب الحرية وأحب الراحة والمتعة.

كان لي ابن عم كبير عنى في سن الشباب، لكنه كان دائم التفكير يحب الفلسفة، دائم السؤال عن أمر الوجود والعدم ومسائل الحياة، صرفه التفكير في هذه الأمور وانشغاله بها عن متع الحياة ونعيمها، لم ينعم يوما بقتل أو فتك، صرفته الفلسفة عن نعيم الحروب معنا، لم تنتشِ أذنه يوما بعزفنا، لم يجرب يوما نشوة الصياح والصراخ والهرولة والفزع، ألهته هذه الفلسفة وهذه الأفكار عن حياتنا حتى أصبح يعيش بيننا شاذا عنا، ما له والفلسفة إنها داء إنساني عوفينا منه، فما باله يشغل نفسه بهذا الداء العضال؟! هذه الأفكار أهلكته حتى نحف وهزل جسمه، كانت تشغله تلك المسائل التي لم يجد لها حلا، وكان كلما قابل واحدا منا، سأله:

ما علاقة الوجود بالعدم؟ هل حقا أن العدم معدوم؟

وإذا كان العدم معدوما فما الذي كان قبل الوجود؟

هل كان قبل الوجود عدم، أو لم يكن للعدم وجود قبل الوجود؟

لكنه لم يجد جوابا على هذه الأسئلة، طاف بأسئلته تلك الأغوار والكهوف، وتجول في مجاهل المجاهل، ورحل إلى أعماق الأعماق، شاب قبل الأوان، لكنه لم يجد جوابا ولم يجد حلا، فقرر قرارا رهيبا، أن يقتحم العالم الإنساني، أن يخرج من الخفاء، ويدخل عقل إنسان، لعله يجد جوابا، عقول الناس أوسع إدراكا، وأبعد مرمى، وهي تستطيع الغوص في مسائل الفلسفة تفك عقدها وتكشف طلاسمها.

قال لي يوما:

"إن الناس يعلمون أشياء كثيرة، ويعلمون عنا أكثر مما نعلم عنهم، إنهم يعلمون أصواتنا فقد سمعت قائلهم يوما يقول:

وإني لأجتاب الفلاة وبينها .... عوزاف جنان وهام صواخد

أرأيت؟!، إنهم يعرفون عنا الكثير ولا بد أنني سأجد الجواب عندهم، عندما أستخدم عقل واحد منهم".

حذره الآباء من هذا الفعل الجنوني، فهو خطر عظيم، أن يسكن عقل إنسان، قالوا له ناصحين:

"في عقل الإنسان مكان إن دخلته أصبته بالجنون، وإذا أصبته بالجنون فسيغلق الجنون عليك كل المنافذ ولن تستطيع الخروج منه أبدا، فإذا مات صاحب هذا العقل مت معه يا مسكين، وأعمار الناس غير أعمارنا،

إنهم قد يموتون وهم لم يتجاوزوا المائة عام من العمر، ودخولك عقل الإنسان وخروجك منه دون إصابته بالجنون أمر في حكم المستحيل".

لكنه لم يسمع لهذا الكلام، ولم يستجب لهذا النصح، أغرته المغامرة وفي خلسة خرج من الخفاء، والتمس عقل إنسان كان يجلس تحت شجرة على الطريق، فدخله وألقى عليه بالأسئلة، قام هذا الإنسان من مكانه وهو يفكر في الإجابة، لكن صاحبنا كان قد لمس مركز عقله فأصابه بالجنون قبل أن يعرف الإجابة، أُغلقت منافذ الخروج على ابن عمي، وقام هذا الإنسان بعدما جنّ ولم يقعد، ظل واقفا تحت الشجرة يفكر بشدة في الأسئلة واضعًا يده اليسرى على ذقنه، ولم يجلس هذا الإنسان من يومها، وسماه الناس من يومها "عبده الواقف"، ولم يغادر مكانه من يومها، أما ابن عمي فلم يستطع الخروج وقد أغلق عليه الجنون منافذ الخروج في عقل هذا الإنسان، وهو الآن حبيس في عقله ينتظر الموت حينما يحين الموت لهذا الإنسان.

الأمر جد خطير، وفيه عبرة لمن لا يعتبر، أما أنا فأخرج ألهو وألعب، لا أقترب من الناس ولا أدخل أجسادهم ولا عقولهم.

لست وحدي من يخرج من الخفاء، الكبار يخرجون من الخفاء أيضا، لكنهم يخرجون إلى مهام، وإلى مأموريات يحققون فيها أهدافهم وأهداف من يتسلط عليهم، أما أنا فأخرج ألعب وألهو وأسعد الناس وأسعد باللعب معهم، ربما تصيبهم الريبة لكن الأمر لا يعدو لعب ولهو لا أذى فيه.

ذات يوم سمعت حكاية عجيبة، عن واحد منا كان يعيش في زمن ماض، رغب في العلم فتعلم، وقرأ الكتب وعكف عليها حتى حفظها جميعا، لكنه لم

يجد مصغيا له منا، ولم يجد من يطلب علما أو حكمة، فقرر الخروج من الخفاء إلى الأبد، لمْلمَ عزاله وودع الأهل والأصحاب، إنه سيخرج ولن يعود، وبكى وبكوا لكن ما باليد حيلة، قرر الخروج والتمس مسجدا كان يقصده الطلاب من البشر للتعلم، والتمس عامودا وجلس يدلي بدلوه، رآه الجميع وتهامسوا في أمره، شكله غريب عليهم، لم يروه من قبل، لا بد أنه من بلاد الشام أو اليمن، أو من بلاد الحجاز، لكن لماذا لا يعلم عنه أحد شيئا؟!، جلسوا إليه يسمعونه ليقروه عالما في المسجد أو ينحوه عن المكان، فوجدوه يفيض علما وحكمة، و اندهشوا له أيما اندهاش، وكان مجلسه كل يوم بعد العصر أعظم المجالس، وكان من ينجح عنده من الطلاب ويحصل على إجازته تكون له تلك مفخرة بين جميع الطلاب، حاولوا أن يتقربوا منه في البداية وأن يعلموا اسمه، ومن أي البلاد هو، لكنه كان حينما ينتهي من حديثه لا يتفوه بكلمة واحدة، وأشاعوا فيما بينهم أنه لا يتكلم إلا في العلم ولم يُؤذن له في الكلام في شيء آخر، وتناقلوا خبره وزادوا عليه أنه قال: "إني نذرت صوما، فلن أكلم العمر إنسيا"، واعتقدوا ولايته وسموه "الشيخ علي الصامت".

كان يعلم أنه إن تشكل في أشكال الناس وعاش بينهم، جرت عليه سننهم، ولن يعيش إلا بعمر أحدهم، عاش بين طلبته عشرين عاما يفيض علما، وو افته المنية، فلما حضروا ليغسلوه ودخلوا حجرته لم يجدوه، فقد التمسه أهله ولم يقبلوا أن يدفن إلا بينهم في عالمنا.

أقام الناس في مكان حجرته ضريحا، و أقبل عليه الناس يتبركون به، وجعلوا يوم وفاته مولدا.

في دنيا الناس أشياء لا تلقى اهتماما عندنا، من يغرم بها منا يفتتن ويكون الشرود مآله، أحدهم يوما أراد أن يرسم كما يرسم البشر، كان اسمه "شعضوض" قابل أباه يوما وقال له:

"أريد أن أرسم يا أبي كما يرسم البشر".

قال له أبوه:

"لماذا تريد أن ترسم يا شعضوض؟!".

قال:

"لأعبر بالرسم عما يعتلج في جوفي من أفكار".

قال له أبوه:

"لماذا تريد أن تُعَبر يا بني؟!، ومن أين جاءتك الأفكار؟!، يا بني الأفكار مرار، ما الذي دهاك يا بني؟!، من أين جاءك هذا الوباء؟!، يا بني العب والهُ مع رفاقك ودعك من هذا، خذ سيفا و افزع وازّ أَزًّا عظيما بكل ما أوتيت من قوة واملأ الدنيا أزيزا وصراخا وعويلا، و انتش كما ينتشي من في سنك".

لم يسمع الكلام، أتى بالألواح والألوان وأخذ يرسم، وسار يبين لمن حوله أهمية ما يرسمه، يريد أن يغويهم يقول:

"إن المدارس الفنية كثيرة وكلها رائعة، ولا بد أن في كل مدرسة منها سبيلا للتعبير يخلد الأفكار ويظهر بواطنها، ويغوص في المعاني ويخلد وقعها وصداها، ويجسد الصمت ويلوّن السكون، ويصنع من الإيحاءات والدلائل سبلا للخلود في الكينونة المطلقة، ويسجل في اللحظة الأبدية احتواء الوجدان في الضمير الفطري".

وأخذ يقول هذا الكلام الإنساني، لم يفهمه أحد، أخذ يرسم لكنه لم يجد من يهتم به، قرر الرحيل، رغم معرفته بمصيره المرير، وانطلق إلى دنيا الناس، وهناك قرر أن يتحد مع جسم إنسان.

دخل شعضوض جسد إنسان طيب، رآه جالسا على حافة الترعة، أملاكه كثيرة لكنه رجل بسيط ليس له في مثل هذه الأمور، سيطر على وجدانه، فأقبل الرجل على دنيا الألوان يسأل عنها، تعجب أهله حينها، ما له يسأل عن الألوان؟!، إنه منذ حصل على شهادة الخدمة الاجتماعية، تفرغ لأرضه وانقطعت صلته بالتعليم، وتفرغ من بعدها لرعاية أملاك أبيه، نعم، كان خطه حسنًا لكنه نسي هذا ولم يعبأ به، وقد تجاوز الخمسين من العمر!، لم ينشغلوا كثيرا به، الحالة المادية متيسرة، فليفعل ما يشاء.

استمر الرجل وتغيرت طقوسه، أصبح يغلق الحجرة على نفسه يرسم، ثم يخرج لأهل بيته بعد مدة طويلة وقد أنهى لوحته، فيعود لشأنه كما كان يلقي الألوان ولا يعبأ بها، ثم فجأة يدخل حجرته ويمكث مدة طويلة ينهي لوحته ثم يخرج يعاود شئونه.

وكان أهله ومعارفه يرون أحواله الغريبة تلك، ولا يعرفون لها سببا، الأمر عجيب، لكن الأعجب أنه حين يرسم، كان يرسم في الظلام، يطفئ الأنوار ويرسم، وتساءلوا كيف يرى ويرسم في الظلام؟!، لم يهتدوا إلى إجابة، ولم يجهدوا أنفسهم في التفكير، وكثرت اللوحات، فأقام لها معرضا، وعلمت الصحافة به، فانتبهوا لهذه الظاهرة العجيبة، الرجل مظهره بسيط، ظهر اسمه فجأة في دنيا الفن التشكيلي، ماله والألوان، وكيف دخل إلى عالم

التكعيبية والتجريدية والو اقعية والسوريالية والكلاسيكية؟!، لكن لوحاته من الروعة بمكان، الألوان تداخلت في لوحاته تداخلا ليس له شبيه، أضفت على اللوحات جمالا غريبا، حين تطيل النظر فيها، تشعر أنك أمام عالم من الأسرار لا نهاية لها.

اشتهر الرجل وتعددت المعارض، وكان شعضوض يميل للمدرسة الوحشية، فقد استهوته وأغرم بها، وظهر ذلك في أغلب أعماله، حيث براعة الضوء المتجانس، والبساطة الخلابة في بديهية الأشكال.

وهكذا اشتهر وذاع صيته و انتقل بلوحاته إلى كل البلاد بدعوة منها، ونال الحفاوة والتكريم، ولم يعبأ صاحبنا "شعضوض" وهو صاحب الفضل في كل هذه اللوحات، أن ينسب الفضل لغيره، إنما كانت كل غايته أن يرسم ويرى صدى ما يرسم في عيون الناس.

لكن الرجل مات ولم يبلغ بعد الثمانين، ومات معه "شعضوض" وماتت معه أحلامه وريشته وألو انه.

ما الذي استفدته يا شعضوض من هذه الفتنة التي وقعت فيها؟!، مت في ريعان شبابك قبل أن تكمل المائتي عام، فماذا أفادتك لوحاتك وألو انك؟!

الكلام كثير والحكايات مغرية، والفضفضة معكم ممتعة، لكنني سأحكي لكم مغامرتي اليوم و أنهي لكم حكاياتي معكم، وسأترككم حتى تستطيعوا أن تكملوا قراءة باقي المجموعة.

بعد أن عدت تلك الليلة إلى الخفاء، الليلة التي كنت فيها سائقا، ولم آخذ رفاقي معي فيها، فلم أكن في حاجة إليهم، وجدتهم ينتظرونني لأحكي لهم ما

حدث لي، وظللت أحكي لهم عن هذا الشاب الذي أوصلته في وقت متأخر من الليل، وأعطيته أموالا كلما عدها وجدها تتغير في كل مرة، كنت أحكي لهم وهم سعداء بهذه الحكاية الجميلة، وهذه المغامرة العجيبة.

كان الجو ممتعا، وكانت السعادة بما أحكيه لهم ظاهرة على وجوههم، التفوا حولي في اهتمام عجيب، وأصغوا إليّ مندهشين مرحين فرحين، ظلوا هكذا حتى نادت عليهم "أم الصبيان" فتركوني وهرولوا، وجلسوا حولها يسمعون منها، ونسوني تماما.

لا بأس، إنهم يحبون السعادة واللهو مثلي، ولاؤهم للفرح والمتعة، أينما وجدوا متعتهم ذهبوا، والليلة كان لي موعد مع مغامرة جديدة، كنت في المرتين السابقتين قد رأيت رجلا جالسا أمام نار يشوي عليها شيئا، ويبيعه للمارة، وعلمت أنها الذرة، يشويها هذا الرجل ويبيعها، التقطتُ واحدة وأعجبني طعمها.

وخرجت في ليلتي هذه من الخفاء كالمعتاد، واخترت مكانا هادئا، على الطريق السريع في مكان مظلم بعيدا عن المارة، وضعت فيه فرنا يعمل بالغاز، أعطيت ظهري للطريق، وأخذت كيزان الذرة وألقيتها في الفرن، دعوت نفرا من رفاقي لها، لكني أمرتهم أن يظلوا في الخفاء، كنت أشوي لهم الذرة وأعطيهم منها، أعجبهم مذاقها، وأعجبهم قضاء الليل في دنيا البشر.

كررت هذا الأمر كل ليلة، كنت آتي أنا ونفر من رفاقي فأشوي لهم الذرة وهم في الخفاء، وأعطيهم إياها فيأكلون ويستمتعون بمذاقها الرائع، هذا فعل بشري أردنا أن نجرب الإحساس به، لم يخرج من الخفاء غيري، كنت

أناولهم الذرة وهم في الخفاء، وكان المارة من البشر يتعجبون حين يروني في هذا المكان، سمعتهم يتساءلون في عجب عن أمري، وعن هذا المكان الذي لا يتوقف عنده أحد، وسمعت همسا بأنهم يروني كل يوم في هذا المكان أشوي الذرة ولم يروا مشتريا واحد يشتري مني، ولكن الأعجب أنهم لم يروني نهارا أبدا!

إنهم أصحاب ذكاء وألمعية، كيف أصرفهم عن هذا التفكير، حتى يدعوني ورفاقي نأنس بالوحشة ونطمئن بالليل، ونسعد في دنياهم بهذه التجربة الجميلة والمغامرة المثيرة؟!

زادت أعين من ينظر إلي، و اقتربت السيارات مني في هدوء، بدا الأمر على وشك الخطر، أنا لا أستطيع أن آتي نهارا، التفكير في مخرج أضناني، لم أتوصل لحل، ولا بد أن الفضول سيجعلهم يحاولون معرفة أمري، وربما يقودهم خيالهم إلى ما لا يخطر لي على بال، قررت أن أدع هذا الأمر، وأن أدع هذا المكان، لكنني لن أدع الخروج إلى البشر واللهو معهم.

سأستمر في الخروج من الخفاء إلى البشر، إنني أحب حياتهم وأحب اللهو معهم، ستروني في أي مكان ليلا، لا تخشوني، أنا لا أحب الأذى ولا الضرر، أحب السعادة والمتعة، والبشر من أحب المخلوقات إلي، البشر سذَّج طيبون، تسعدهم أشياء بسيطة، والريبة أسرع إليهم من أي شيء.

قد تجدوني بائع كبدة، أو بائع ذرة، أو بائع ترمس، لكنكم لن تجدوني نهارا أبدا، لن تجدوني إلا ليلا!

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017